حائرون خائفون

التجاني صلاح عبدالله المبارك

الطبعة التمهيدية
١٤٤٥هـ_ ٢٠٢٤م

حائرون خائفون

التجاني صلاح عبدالله المبارك

الطبعة التمهيدية
١٤٤٥هـ_٢٠٢٤م

حائرون خائفون

التجاني صلاح عبدالله المبارك

الطبعة التمهيدية
١٤٤٥هـ_٢٠٢٤م

الاتحاد الأوروبي والصين والنظام العالمي الجديد

في كتابه (المائة عام القادمة) يقول " جورج فريدمان": أي نقاش حول المستقبل يجب أن يبدأ بنقاش حول الصين، ربع سكان العالم يعيشون في الصين، ولطالما كان هناك اهتمام كبير بالنقاش حول الصين كقوة عالمية مستقبلية.

ولأن القلق الكبير من تناقص المواد الخام والنفط والغاز الطبيعي، والنقص المتسارع في الذخائر، في القارة

الأوروبية بسبب الحرب الأوكرانية_ الروسية، يسيطر على قادة أوروبا؛ فقد كان النقاش يتصاعد في الآونة الأخيرة حول التوجه الأوروبي نحو الصين، بعدما ظلت مصالحهم وعلاقاتهم الاقتصادية، والسياسية، لعقود عديدة مع الولايات المتحدة، وفي محاولة للانعتاق من القطب الأمريكي المهيمن على النظام الدولي.

تعتبر العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وجمهورية الصين الشعبية، هي علاقات ثنائية تأسست عام 1975 بين جمهورية الصين الشعبية والجماعة الأوروبية، وتهدف العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والصين وفقًا للدائرة الأوروبية للشؤون الخارجية إلى التعاون في مجالات السلام، والازدهار، والتنمية المستدامة والتبادلات بين الأفراد.

ولأن الصين تلتزم سياسة صفر مشاكل وعدم التدخل في النزاعات المندلعة بين الأطراف الدولية، وتنظر في سياستها الخارجية بمنظور يجعل من تلك النزاعات

الدائرة هي فرصة مناسبة لتحويل تلك النزاعات إلى الحديث عن المصالح المشتركة، والفوائد الكامنة في كل الأطراف من ناحية اقتصادية ومنفعية، تعلو على موضوع النزاع، فقد كان توجه بعض اطراف الاتحاد الأوروبي لها هي فرصة سانحة لتحقيق توجهاتها واستراتيجياتها خاصة مشروعها "طريق الحرير. "

ومنذ انتهاء الحرب الباردة تحولت الصين إلى التزام سياسات جديدة تحاول من خلالها إحداث تحول في بنية النظام الدولي، وهو إحداث التحول من آحادي القطبية إلى نسق متعدد الأقطاب أو إلى الوصول إلى حالة من اللاقطبية في النسق الدولي وكان مشروع "الحزام والطريق" أو "طريق الحرير" هو المبادرة التي خرجت بها الصين على العالم في شكل بيان صدر في 18 أغسطس 2003، أكدت فيه ضرورة الاحترام المتبادل للسيادة والسلامة الإقليمية وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول، وإدارة

الصراعات الدولية سلميًا، ومعارضة استخدام أو التهديد باستخدام القوة، ودعم مفهوم جديد للأمن يكون جوهره الثقة المتبادلة والمساواة في السيادة بين الدول أيًا كانت ظروفها الاقتصادية والسياسية، وتحقيق التعاون المنفعي المتبادل والتنمية المشتركة بين الدول كافة.

لذا فقد كان حديث الرئيس الفرنسي "ماكرون" الأخير، بعد زيارته للصين والذي طالب فيه الاتحاد الأوروبي باتخاذ موقف محايد في المسألة التايوانية، والصراع الصيني التايواني، (تايوان هي منطقة استراتيجية هامة لكلا الفاعلين الأمريكي والصيني، فهي تربط بين دول حليفة للولايات المتحدة في بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي، توليها الولايات المتحدة اهتماما كبيرا، لأنها تمثل البعد الجنوبي لحليفتها اليابان، والبعد الشمالي لحليفتها الفلبين. وتعتبر تايوان بالنسبة للصين أيضا منطقة هامة وحساسة

لموقعها الجيو سياسي في بحر الصين الجنوبي، الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على السيادة الصينية) ودعا "ماكرون" إلى "استقلال استراتيجي" للاتحاد الأوروبي على الساحة الدولية، كان يلاقي حديثه استجابة كبيرة للقادة في الصين.

ولأن الاتحاد الأوروبي يلتزم بسياسة "صين واحدة" ويحترم سيادة الصين وسلامة أراضيها، فقد كانت الحاجة الاقتصادية له تدعو إلى تفعيل الميزان التجاري والاقتصادي معها، في ظل حروب الاستنزاف الدائرة بين روسيا وأوكرانيا أو بين روسيا والولايات المتحدة التي تقاتل بذراع أوروبية داخل أوروبا، لتركيع وانهاك الدب الروسي وتحقيق هيمنة الولايات المتحدة، فقد أظهرت الدراسات التي يقوم بها خبراء الاقتصاد في أوروبا أن القارة بحاجة إلى سياسات تجارية أخرى مع الصين، وان أوروبا بأكملها باتت على نحو 6 آلاف و887 منتجاً صينيا للحفاظ على إنتاجها وصناعاتها، وفي وقت ظل فيه الاستيراد

من الدول الأخرى منخفضا بصورة كبيرة، مع هذا فان الصين تمثل الصين للاتحاد الأوروبي بوابة يمكن أن تربطه بالدول الآسيوية في مجالات عديدة، مثل النقل والطاقة والاتصال الرقمي.

صحيح أن حدة التنافس الأمني والاقتصادي والسياسي بين الصين والولايات المتحدة تتصاعد، وترى الأخيرة أن الصين تمثل عدوا محتملا وقوى صاعدة ينبغي إضعافها بأي وسيلة، وبالنسبة للداخل الأمريكي أيضا فان الصين تعتبر التهديد الأكثر خطورة على الولايات المتحدة، لما تقوم به الصين من إعادة تشكيل منطقة المحيطين الهادئ والهندي، ومن إقامة قواعد عسكريّة في عدة دول، إضافة لكونها دولة اقتصادية قفزت إلى الصدارة بسرعة كبيرة مقارنة مع غيرها من الدول، ولان رؤية الصين هي إيجاد نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب، أو نظام عالمي لا قطبي، لذا سعت الصين لتعزيز علاقاتها مع مختلف الدول معتمدة على طاقتها وإمكانياتها

الاقتصادية، ومشروعها طريق الحرير، فنجدها توقع شراكة اقتصادية واستراتيجية مع إيران، مثلما توقع مع روسيا، ومن غير المستبعد أن تقوم بتوقيع اتفاقيات اقتصادية كبرى مع معظم دول الاتحاد الأوروبي، باعتبار الاتحاد الأوروبي قطبا هاما في نظام الهيمنة متعدد الأقطاب المتوقع، في حالة استقطاب جديدة كان المتسبب فيها هو الولايات المتحدة نفسها.

صحيح أن إعلان "مارشال" في منتصف عام 1947 كان في حقيقة الأمر يجسد الهيمنة الأمريكية وسياسة فرض الأمر الواقع، وطوق النجاة للقارة الأوروبية لتجديد اقتصادها وضخ الحياة فيه، بعد أن تعاظمت آثار الحرب العالمية الثانية في الدول الأوربية، التي كان من أميز مظاهرها تفشي البطالة وانعدام مصادر الطاقة، ونفاذ احتياطي العملات الصعبة والذهب، غير أن المساعدة الأمريكية وقتها تجاه الدول الأوروبية ليست لتفريغ المنتوج الصناعي الفائض

من السلع الأمريكية وإيجاد أسواق أوربية فحسب، ولكن كانت من جهة ثانية سياسة فرض الأمر الواقع أمام الهيمنة والسيطرة الأمريكية، والتي لا تملك الدول الأوربية مجتمعة أو متفرقة إلا الإذعان والرضوخ لها، في مسميات عديدة مستترة أحيانا وظاهرة أحيانا أخرى، مثل الشراكة أو التفاهم أو التنسيق أو غيرها، لكن أتصور أن الأمر مع الصين مختلف لرؤية واستراتيجية الصين في إيجاد نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب.

حقيقة الدعاء

الفرد المسلم الموحد يدعو الله وحده، ويستغيث به، يدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في سلمه وحربه، وكل سكناته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله "يا حي يا قيوم" في يوم بدر، في الحديث الذي رواه البيهقي من حديث علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_قال:"لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت مسرعا لانظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل، فجئت فاذا هو ساجد يقول :يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى

القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، فلم يزل يقول ذلك حتي فتح الله عليه". [1]

حقيقة الدعاء في السلم أو الحرب، أن الموحد يؤمن بأنالله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء، وهو العليم الذي لا يعزب عن علمه شيء، فهو يعلم دبيب النملة السوداء في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويعلم ما تسقط من ورقة، قال الله تعالى: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) [الأنعام:59]،(ان الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور) [فاطر:38].

أنه عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجري من تخوم الارضين إلى أعلى السموات، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة

الذر في جو الهواء، ويعلم السر واخفى، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.[2]

ويعلم الموحد، وهو يدعو الله أنه سبحانه وتعالى بيده كل شئ، وأن أمره بين الكاف والنون، قال الله تعالى :(إنما أمره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون)[يس:82] ،وهو فعال لما يريد، قال الله تعالى :(إن بطش ربك لشديد. إنه هو يبدئ ويعيد. وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعال لما يريد) [البروج:16_12]، وقال تعالى :(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) [الأنعام :125]، ولا يجعل له ندا أو عدلا، قال الله تعالى :(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) [الشورى : 11]، وقال

النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه إبن عباس رضي الله عنه، قال:جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما شاء الله وشئت قال :"جعلتني عدلا قل ما شاء الله ". [3]

ويعلم ايضا الموحد، أنه تعالى القادر القدير على كل شيء، وأنه قادر على نصره وإلحاق الهزائم والخسران بعدوّه، وأنه تعالى يزهق الباطل، ويحق الحق، قال تعالى:(إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [الذاريات:58]، وقال تعالى:(وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) [محمد:13].

وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر، لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له السلطان والقهر، والخلق والأمر، والسموات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته، وأنه المنفرد

بالخلق والاختراع، المتوحد بالايجاد والإبداع، خلق الخلق واعمالهم، وقدر ارزاقهم وآجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لاتحصى مقدوراته، ولا تتناهى معلوماته.[4]

إن المسلم يدعو الله سبحانه وتعالى في أحواله كلها، إن كان في سلم فهو في حاجة إلى رحمة الله ومعونته ورضاه، وان كان في شدة فهو في حاجة إلى الله لمعونته ورحمته ونصره، لأن الأمر كله لله. رفعت الأقلام وجفت الصحف.

بوب الإمام "ابن حجر العسقلاني" باب (التوكل والصبر) في كتاب (هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة) ذكر فيه حديث ابن عباس رضي اللهعنه قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: "يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن

ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

الهوامش:

[1]_ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، توثيق عبد المعطي قلعجي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، السفر الثالث، (بيروت: دار الكتب العلمية ،ط.1988،1) ، ص 49.

[2]_أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار ابن حزم ،ط.2005،1)، ص107 .

[3]_أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ،تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، المعجم الكبير، الجزء الثاني عشر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية ،ط.3891،2) ، ص442.

[4]_أبو حامد محمد بن محمد الغزالي،المصدر السابق ،ص107.

اقتراب صنع واتخاذ القرار السياسي في المؤسسات الدولاتية

تعتبر عملية صنع القرار عملية حياتية لازمة لا غنى للفرد عنها، ولا يمكن تصور سيرورة الفرد بمعزل عنها. محصلة صنع القرار سواء في المجال الاجتماعي للأفراد أو الاقتصادي أو الأمني أو السياسي أو أي مجالات أخرى، أنه يحدث بموجبها تغير ما أو مجموعة تغيرات، تقود إلى اختلاف كامل شامل عما كان عليه الوضع قبل اتخاذ وصنع القرار ، ويكفي في هذا الصدد أن نشير أن عدم اتخاذ الفرد لقرار ما في حياته ، إذا جاز أن يحدث ذلك، وهو ما لا يمكن تصوره وتوقعه، ويعد من المستحيلات، يعتبر أيضا ضربا من ضروب اتخاذ وصنع القرار.

عملية صنع القرار السياسي هي من العمليات الحياتية الهامة التي يتوقف عليها حدوث تغير أو تغيرات ما قد تكون وقتية قصيرة الأجل ، وقد تكون من ناحية ثانية طويلة المفعول وذات تأثير ممتد ربما لأجيال متعاقبة، ووفقا لأهمية هذه العملية الحياتية التي ربما تغير أحوال ما 180درجة كاملة، فإن صانع أو صناع القرار السياسي يقفون على مسؤلية عظيمة وجسيمة، تتطلب منهم استعمال طاقتهم القصوى ومهاراتهم المتعددة في تحديد أو تغليب الرأي الحصيف.[1]

القرار لغة:

قال" ابن منظور" في (لسان العرب):

والقرار : ما قر فيه الماء . والقرار ، والقرارة من الأرض : المطمئن المستقر ، وقيل : هو القاع المستدير ، وقال أبو حنيفة : القرارة كل مطمئن اندفع إليه الماء فاستقر فيه ، قال : وهي من مكارم الأرض إذا كانت سهولة.[2]

وفي (مختار الصحاح) : القرار: المستقر من الأرض ، ويوم القر بالفتح ، هو اليوم الذي بعد يوم النحر، لأن الناس يقرون في منازلهم، والقرار في المكان الاستقرار فيه؛ تقول قررت بالمكان بالكسر أقر قرارا، وقررت أيضا بالفتح أقر قرارا وقارة مقارة أي قر معه وسكن. [3]

المعنى الاصطلاحي للقرار:

اما اصطلاحا فيشير مفهوم القرار، إلى اختيار البدائل الارجح أو الامثل، كما يعني ما يستقر عليه من موقف واع لمن له حق البت في أمر ما بعد التأمل الذهني في الخيارات المتاحة. [4]

تعريف صنع القرار :

يمكن تعريف عملية صنع القرار بأنها عملية معقدة تنطوي على عدة خطوات تتناول البدائل المتاحة التي يتم ترشيحها وفق آليات مؤسسات صنع القرار، وتوفق أو تفاضل بينها بحسب المعطيات المطروحة والمتحصلة من المؤسسات ذات

الصلة، ويتم في آخر العملية اختيار وترشيح أقوى البدائل لتجاوز الموقف الراهن المعقد أو المستقبلي.

يعرف القرار السياسي بأنه: قيام من هم في مواقع السلطة والمسؤولية أو من تتوافر له أو لهم القوة والقدرة، باختيار احد الحلول البديلة المطروحة لمواجهة مشكلة ما، ومن ثم فان القرار هو" وصفة " أو التزام بالتصرف على نحو معين من قبل اصحاب السلطة والنفوذ. [5]

يمكن وصف وتعريف عملية صنع القرار السياسي بأنها العملية التي تعبر عن توجه الدولة في الوقت الراهن أو المستقبلي، وتتم بعد دراسة مستفيضة لكافة المتغيرات السياسية الراهنة وتغليب أحد البدائل في نهاية الأمر. [6]

هى عملية التفاعل بين كافة المشاركين بصفة رسمية وغير رسمية فى تقرير ورسم السياسات العامة، وفى هذه العملية نجد أن التقارير واعدادها

تلعب دور هام فى رسم سلوك المؤسسات السياسية، حيث أن هذه المؤسسات عادة ماتختار احد التصورات التى ترى أنها الافضل فى حل مشكلاتها وتحقيق اقصى قدر من المنفعة.[7]

ومن هنا يمكن الاشارة إلى تعريف جامع لعملية صنع القرار، ألا وهو مجموعة القواعد والخطوات التى يتبعها المشاركون فى عملية اتخاذ القرار، من أجل اختيار معين بهدف حل مشكلة محددة ، أي هى تلك الاسس الرسمية وغير الرسمية التى يتم بواسطتها تقيم الاختيارات المتاحة والعمل على إحداث توافق فيما بينها.[8]

تعريف عملية صنع القرار السياسي الخارجي:

يمكن تعريف عملية صنع القرار السياسي الخارجي أيضا، بأنه عملية معقدة تنطوي على عدة خطوات تتناول البدائل المتاحة، وتوفق أو تفاضل بينها بحسب المعطيات المطروحة

والمتحصلة من المؤسسات ذات الصلة، ويتم في آخر العملية اختيار وترشيح أقوى البدائل لتجاوز الموقف الراهن أو المستقبلي ، بما يضمن ويحقق ويميز سيادة الدولة واستقلالها وارادتها، عن جميع الوحدات السياسية في المجتمع الدولي.

يجادل " ريتشارد سنايدر " Richard Snyder بأن عملية صنع القرار هي اختيار بديل من البدائل يخضع لتوجيه فريق العمل والمستشارين الذين يوضحون ما لكل بديل وما عليه.

ومن تعريفاته أيضا:

هو العملية التي تتضمن تحديد الأهداف والمصالح القومية واتخاذ القرارات اللازمة لوضعها موضع التطبيق من خلال أدوات تنفيذ السياسة الخارجية المختلفة: الدبلوماسية، الإعلامية، الاقتصادية والعسكرية.

عملية صنع القرار السياسي هي عملية فنية وذهنية في آن واحد، إذ

أنها تحتاج إلى الإلمام الكافى بالجوانب الفنية والمعلومات الدقيقة المتصلة بالموضوع، كما أنها تحتاج إلى مهارات عالية فى التحليل والمفاضلة بين البدائل واختيار البديل المناسب. [9]

الاختلاف بين طبيعة المدرسة الأمريكية والمدرسة الاوروبية في تناولهما للسياسة الخارجية:

في هذا السياق، ينبغي أن نشير إشارة عابرة لطبيعة المدرسة الأمريكية في تناولها للسياسة الخارجية واحداث وصنع القرار، واختلافها عن المدرسة الأوروبية ، ففي الوقت الذي تهتم فيه المدرسة الأوروبية في علم السياسة بدراسة التاريخ والفلسفة لما لهما من تأثير مباشر في التفاعلات السياسية؛ فقد أولت المدرسة الأمريكية جل اهتمامها في علم النفس والاحصاء، لذا كان لهذا الاهتمام تأثيرا كبيرا في صنع

القرار السياسي لكلا المدرستين لا تخطئه العين.

تختلف المدرسة الأميركية في العلوم السياسية اختلافاً كبيراً عن نظيرتها الأوروبية، وهو ما لمسته بنفسي عبر رحلتي الأكاديمية.. ففي مرحلة مبكرة من هذه الرحلة لاحظت أن المدرسة الأوروبية تولي اهتماماً خاصاً بالفلسفة والتاريخ وتعتبرهما رافدين لا غنى عنهما في التكوين العلمي والمهني لطلاب علم السياسة، بينما تولي المدرسة الأميركية اهتماماً أكبر بمواد أخرى يغلب عليها الطابع العملي، كالإحصاء وعلم النفس، وهو الأمر الذي كانت له انعكاسات واضحة ليس فقط على السمات الأكاديمية لكل من المدرستين وإنما أيضاً على أسلوب عمل المؤسسات المسؤولة عن صنع السياسة الخارجية في كل من الولايات المتحدة والدول الأوروبية.[10]

على الصعيد الدبلوماسي يمكن القول إن الولع بالجوانب الإجرائية والشكلية سيطر على أداء المراكز الأميركية لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية، على حساب الجوانب الموضوعية والقيمية، وأصبح هناك ميل غريزي لاعتماد أسلوب «إدارة الأزمات» عند التعامل مع المشكلات الدولية، بدلاً من التعاون مع المجتمع الدولي لبحث أنسب السبل لحلها، وازداد الهوس بفنون صك المصطلحات المراوغة لمساعدة الإدارات الأميركية المتعاقبة على تذليل العقبات التي تعترض طريقها في إدارة الأزمات، بما يكفل تعظيم المكاسب إلى أقصى حد ممكن و أو تقليل الخسائر إلى أدني حد ممكن. [11]

عوامل صنع القرار السياسى والوحدات المشاركة في صنع القرار السياسي:

توجد عدة عوامل تؤثر مجتمعة في عملية صنع القرار السياسي، بعضها

يحتاج إليها صانع القرار بالضرورة، ولا يمكن تصور تكون واقتراب القرار دون الرجوع إليها ، مثل الرأي العام ورؤية الاحزاب الرئيسية في الدولة ، وبعضها الآخر تفرض نفسها أيضا بالضرورة في عملية صنع القرار ، مثل مؤسسات الدولة الحكومية، وجماعات الضغط والمصالح.

وتعتبر المؤسسات الدولاتية مثل السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية، والمؤسسات الأخرى غير الرسمية مثل جماعات الضغط والمصالح ، والأحزاب السياسية والرأي العام، ومراكز البحوث والدراسات وخزانات التفكير والدراسات المستقبلية والاستشرافية،وطبيعة النظام السائد والأيدلوجية التي يتبناها، هي من اهم عوامل صنع القرار السياسي.

أولاً المؤسسات الرسمية في الدولة:

السلطة التشريعية:

تختص السلطة التشريعية بصنع القرارات المختصة باصدار التشريعات

والقوانين على المستوى الداخلي في الدولة، ويظهر نفوذها وصلاحيتها في ذلك اكثر من المستوى الخارجي الذي يتطلب بدوره قدرا أكبر من الكتمان والسرية والدبلوماسية.

في الولايات المتحدة مثالا، يعتبر الكونجرس الذي يتكون من مجلسي الشيوخ والنواب، هو الهيئة التشريعية التي تصدر منها القوانين الفيدرالية.

أمام تعدد مشروعات القوانين التي تعرض على الكونجرس سنوياً، فإن عضو الكونجرس قد لا يستطيع – في الغالب – أن يتخذ قرارا واعيا ومدروسا تجاه القضايا المعروضة عليه سوى مرات محدودة جدا، أما بخصوص بقية القرارات التي يتحتم عليه اتخاذها، فيجب عليه البحث عن أسلوب أخر لاتخاذها لا يرتبط بأسلوب التفكير العقلاني، الذي يعتمد على الدراسة الواعية والدقيقة لتفاصيل أي قضية قبل اتخاذ قرار فيها، وهو ما يصفه البعض بأنه أسلوب "سياسي"

وكذلك الاعتماد على طاقم كبير من المساعدين، م يقدمون مساعدات كبيرة لعضو الكونجرس مثل دراسة القضايا، ورفع تقارير بخصوصها إليه، وتنظيم وقته، واللقاء مع ممثلي جماعات المصالح.[12]

السلطة القضائية:

يتمثل دور السلطة القضائية باعتبارها عاملا من عوامل صنع القرار في الدولة، بتطبيق وترسيخ الأحكام القضائية وانفاذها، لتحقيق العدالة بين الأفراد.

السلطة التنفيذية :

يقع على السلطة التنفيذية الدور الفعلي والاكبر في تنفيذ وتحقيق كل التشريعات والقوانين الصادرة من السلطة التشريعية، وبدورها هذا فهي تساهم في تنفيذ القرارات الصادرة، وتحويلها إلى قرارات حقيقية منفذة على أرض الواقع.

ثانيا: المؤسسات غير الرسمية :

الاحزاب السياسية:

الاحزاب السياسية والجمعيات السياسية الوطنية تعتبر عاملا مهما من عوامل صنع القرار ، فهي تتفاعل مع القضايا المطروحة الراهنة ، وتفعل موقفا موحدا من داخل أروقة الحزب وصفوفه، يعبر عن رؤيتها ومطالبتها.

الراى العام :

يعتبر الرأي العام من أقوى العوامل المؤثرة في صنع القرار السياسي للنخبة الحاكمة، وذلك لدور الرأي العام في إثارة وتحريك القضايا على السطح السياسي، التي تتطلب قرارا عاجلا،وتعمل على تكوين شعور عام موحد تجاه القضية الهامة موضع النزاع ، ويتشارك في تكوين الرأي العام مجموعات أهل الفكر والرأي والنخب المستنيرة في المجتمع ، من خلال وسائل الاعلام أو من خلال القنوات الحزبية.

الإعلام بدوره يؤثر على عملية صنع القرار عبر أربعة مراحل: تحديد

المشكلة، تحديد البدائل، اختيار المعلومات، تطبيق القرار. فهو يعمل في عمقه الاستراتيجي على تدفق المعلومات بشكل يعمد على ترسيخ القرارات؛ ما يضع الرأي العام، محط الدراسة، في جانب علاقة التأثير والتأثر في مفهوم صناعة القرار السياسي. [13]

جماعات المصالح :

تعتبر جماعات الضغط والمصالح عاملا هاما في تكوين وصنع القرار، وهي جماعات مختلفة تجمعها المصلحة والاهداف المشتركة ، والقرار المتوقع صدوره اما ان يكون قرارا هاما يتماهى ويتوافق مع مصالحها الفعلية، لذلك تسعى في تحقيقه وانفاذه بكل السبل القويمة المتاحة وربما غير القويمة ، وإما ان يتعارض مع مصالحها وأهدافها فتسعى بكل السبل ايضا إلى افشاله وتثبيطه.

جماعات الضغط هي جماعات مختلفة الهوية والعدد التنظيم والمكانة والقوة ، لها هدف إثارة اهتمام الحكومة حول قضية ما تهم هذه الجماعات ويخدم مصالحها، ولكي تتمكن من القيام بدورها يلزمها وجود قنوات رسمية حكومية وغير حكومية لتوصيل صوتها عن صنع السياسة العامة ، ولديها أساليب للضغط متنوعة كوجود متحدثين مثلا (مسئولين) عن مقترحات رسم السياسة العامة، وعن طريق التأثير في الرأي العام ليتخذ موقف ضد السلطة أو على الأقل يسهل تمرير المشاريع.[14]

وتعرف جماعات المصالح بعدة تعريفات أخرى متقاربة في المعنى:

هي مجموعة من الأفراد تسعى للتاثير- بوسائلها الخاصة -على عملية صنع السياسات العامة لدفعها في الاتجاه الذي يحقق مصالح اعضائها المادية والمعنوية ، دون السعي للمشاركة في الحكم أو تحمل المسؤولية.[15]

هي جماعة تسعى لتحقيق هدف أو اهداف معينة مرتبطة بمصالح اعضائها بكافة الوسائل الممكنة، عبر التأثير والضغط على قرارات وسياسات السلطة السياسية ، ولكن ليس من اهدافها الوصول إلى السلطة.[16]

مراكز البحوث والدراسات وخزانات التفكير:

تمثل مراكز البحوث والدراسات وخزانات التفكير معينا هاما في صنع واتخاذ القرار السياسي، إذ أنها تقدم توصياتها ودراساتها في مجال التفكير الاستراتيجي والمستقبلي للجهات المسئولة المختصة، وتقوم بتحديد الحلول كاملة مستوفية حول أيا من القضايا الراهنة أو المستقبلية التي تتطلب اتخاذ القرار.

من الصفات التي ينبغي أن تتميز بها مراكز الدراسات والبحوث، هو تجردها الكامل وتوخيها الدقة والمصداقية والنزاهة ، مبتعدة قدر الامكان عن أي

اغراءت سياسية أو مادية تقدم لها من أي جهة بشأن استمالتها ووقوفها معها، في ترجيح بديل من البدائل الناقصة، التي تصب في مصلحة جهة أو جهات معينة ما.

لمراكز الدراسات والبحوث أو ما يطلق عليها أحيانا خزانات التفكير (Think Tanks) ادوارا كبيرة في صنع السياسة العامة، لأن المعرفة المتخصصة التي تقدمها هذه المراكز من خلال الإصدارات العلمية والندوات المتخصصة تضاعف مستوى الوعي لدى صانع القرار والمؤسسات والأفراد، وتساعدهم على الربط بين الوقائع الميدانية واطارها العلمي النظري.

تمثل مراكز الأبحاث مجسات للاستشعار المبكر واستقراء المستقبل من خلال دورها في الاستشراف المستقبلي استنادا إلى قواعد علم المستقبليات، لمساعدة صناع القرار على التخطيط الإستراتيجي للمستقبل، كما انها تعمل على ترشيد

أو عقلنة القرار السياسي للمسئولين وصناع القرار لتقليل احتمال الخطأ أو الفشل في صنع ورسم السياسة العامة، بالاضافة إلى دورها في تشكيل الرأي العام من خلال دورها المعرفي ، وقدرتها على التكتل والضغط لمصلحة فئة معينة أو تحقيق سياسة معينة.[17]

في إطار هذه المراكز ظهر أبرز مفكري الاستراتيجية وصانعي القرار في الولايات المتحدة، مثل: ماك جورج باندي (مستشار الأمن القومي في عهد كنيدي ـ من مؤسسة روكفلر)، وهنري كيسنجر (مستشار الأمن القومي للرئيس نيكسون ـ من مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك)، وزبجنيو برجينسكي (مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر ـ من مؤسسة بروكينجز)، وكوندوليزا رايس (مستشارة الأمن القومي للرئيس جورج بوش ـ من جماعة المشروع الأميركي) .[18]

في هذا النسق، يلاحظ أن دور مفكري الإستراتيجية في الولايات المتحدة

يعتبر جناحا ثانيا لمؤسسة الرئاسة في إحداث القرار السياسي، إذا إعتبرنا الجناح الأول يتضمن شخصية الرئيس القوية والكاريزما القوية التي يتمتع بها، اضافة إلى سيطرة الحزب الذي ينتمي إليه الرئيس ، والشعبية والقبول الكبير الذي يلاقيه الإثنان في البلاد.

أن الفاعلية في إدارة وصنع قرارات السياسة الخارجية من جانب مؤسسة الرئاسة أو من جانب الكونجرس تتوقف بدرجة كبيرة على عدد من الاعتبارات من بينها : الحزب المسيطر في الكونجرس، وشخصية الرئيس، والمناخ السياسي العام، فسيطرة الحزب الذي ينتمي إليه الرئيس على الكونجرس تسهل تصديق الكونجرس على قراراته، وعندما تكون شخصية الرئيس قوية، تزيد من قدرته في السيطرة على الكونجرس، كذلك فإنه عندما يشعر الجميع أن المجتمع الأميركي يواجه تحديات مصيرية، يكون للرئيس الكلمة العليا، حيث تتوحد

الصفوف خلفه باعتباره رمزاً للأمة، ومدافعاً عن مبادئها وقيمه.[19]

مراحل صنع القرار السياسي :

1_مرحلة ظهور المشكلة أو القضية الموجودة في الوقت الراهن:

تظهر المشكلة أو القضية على السطح الدولاتي بفعل أطراف خارجية في أكثر الحالات، أو أطراف داخلية بحجم أقل في حالة الدول المستقرة سياسيا، وتؤثر القضية المثارة على تماسك واتزان الدولة، مما يتطلب ذلك تدخلا عاجلا في صنع واتخاذ القرار السياسي.

2_مرحلة تحديد الهدف:

بعد ظهور المشكلة التي تتطلب قرار ما لمعالجتها علاجا جذريا كاملا، فانه يتوجب على صانع القرار أن يحدد الحدث والمشكلة تحديدا دقيقا ، حتى يكون القرار متناسبا ومتسقا مع أسباب ومكونات المشكلة الراهنة.

3_مرحلة تقييم الموقف:

بعد ظهور الحدث أو المشكلة وتحديدها، فإن صانع القرار يعمد إلى تقييم الموقف وتقدير أبعاده، ودراسة الآثار السالبة المترتبة عليه.

4_مرحلة استقصاء وحشد المعلومات:

ويتم في هذه المرحلة إجراء جمع كافة المعلومات المتعلقة بالحدث التي من شأنها أن تسهل من اتخاذ القرار الراشد. إن غياب اي معلومات بشأن القضية أو تقديم معلومات ناقصة يمكن أن يؤثر تأثيرا كبيرا على شكل وطبيعة القرار.

5_مرحلة تحليل ومراجعة المعلومات المقدمة:

في هذه المرحلة تقوم المؤسسات المعنية بتصفية وتصنيف المعلومات والبيانات بطرق علمية، تمهيدا لاتخاذ القرار.

6_مرحلة تحديد البدائل المناسبة:

وفي هذه المرحلة الهامة يتم وضع وتحديد كافة الخيارات والبدائل المناسبة وغير المناسبة جنبا إلى جنب ، تمهيدا للمفاضلة بينها ، واتخاذ أنسب وأفضل الخيارات والبدائل.

7_مرحلة اختيار القرار والمفاضلة بين البدائل المقترحة:

تعتبر مرحلة المفاضلة بين البدائل المقترحة هي من اخطر مراحل صنع القرار ، ذلك لأن اختيار أي قرار غير راشد سيترتب عليه جملة تغيرات مفصلية في الدولة ، سواء على محيط الدولة الداخلي أو الإقليمي أو العالمي ، وقد يحدث هذا خاصة اذا تعرض صانع القرار إلى ضغوط وتهديدات خارجية في الدول ناقصة السيادة والارادة. وتعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الاخيرة في عملية صنع القرار السياسي، ويتم فيها اعلان القرار الذي تم ترجيحه وتفضيله من جملة البدائل والاقتراحات المقدمة.

8_مرحلة متابعة تنفيذ القرار بعد صدوره:

في هذه المرحلة تتم مراقبة سريان ومفعول القرار السياسي، وتقييم الآثار الايجابية أو السلبية من صدوره واعلانه ، ومراقبة وتقييم ردود الفعل الناتجة سواء في المحيط الداخلي للدولة أو الاقليمي أو العالمي بحسب طبيعة القرار.

خاتمة:

يعتبر صنع واتخاذ القرار السياسي هو من الاعمال التي تتطلب وجود أكثر من مؤسسة، وهو بذلك من انواع العمل الجماعي الذي يتطلب مؤسسات نزيهة وقويمة، لإصدار وصنع القرار السياسي، الذي يصب في مصلحة الجميع، وفي الحالات الأخرى فإن الحقيقة القاسية هي أن متخذ وصناع القرار إنما يهدون المعبد على الجميع.

المصادر:

[1]_ ابتهال مبروك، عملية صنع القرار الخارجي، موقع الموسوعة السياسية، 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2022 ،(تاريخ الدخول: 16 مايو /أيار 2024):https://tinyurl.com/5chpr984

[2]_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،ج.12، ص. 63

[3]_ محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح،(بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2011)،ص. 221

[4]_ محمد علي العويني، اصول العلوم السياسية، (القاهرة: عالم الكتب، 1981) ، ص.19

[5]_ محمد محمود ربيع، اسماعيل صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، (الكويت: جامعة الكويت، 1994)، ص. 486

[6]_ أميرة مصطفي، اقتراب صنع القرار في السياسة الخارجية، المركز الديمقراطي العربي، 29يونيو/حزيران2019، (تاريخ الدخول: 16 مايو /أيار 2024): https://tinyurl.com/4epjwc28

[7]_ كمال المنوفى ، اصول النظم السياسية المقارنة، (شركة الريعان للنشر والتوزيع ، ط. 1، 1987)، ص. 113

[8]_ أميرة مصطفي، المصدر السابق

[9]_ ابتهال مبروك، المصدر السابق

[10]_ حسن نافعة، إبداع أميركي في صك المصطلحات الخادعة، موقع جريدة الوطن، 10اغسطس/آب 2017 ، (تاريخ الدخول: 16 مايو /أيار 2024): https://tinyurl.com/55s5689h

[11]_ حسن نافعة، المصدر السابق

[12]_ عصام عبد الشافي، كيف يصنع القرار في الولايات المتحدة، (تاريخ الدخول: 16 مايو /أيار 2024): https://tinyurl.com/mr3dwhzv

[13]_ عبد الله أبو عوض، الإعلام وصناعة القرار السياسي - دراسة في قناة الجزيرة، مركز الجزيرة للدراسات، 28 مارس/آذار 2023،(تاريخ الدخول: 16 مايو /أيار https://tinyurl.com/2fayhh87:(2024

[14]_ حسن نافعه ، جلال معوض ، حمدى عبد الرحمن، مقدمة فى علم السياسة،ج،1 ،(ط.1، 2002)، ص. 345

[15]_ بطرس غالي، محمود خيري عيسى ، المدخل في علم السياسة ،(القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ط. 10، 1998)،ص. 316

[16]_ رجب عبد الحميد، مبادئ العلوم السياسية ،(القاهرة: دار ابو المجد للطباعة ، 2011) ص222

[17]_ بهاء الدين مكاوي محمد قيلي، صنع واتخاذ القرار السياسي، يونيو 2017

[18] _محمد حسنين هيكل، صناعة القرار الأميركي

[19]_ عصام عبد الشافي، المصدر السابق.

حائرون خائفون

تحت وطأة الحرب - أو أي نازلة من النوازل - يفقد الناسُ الأمنَ والأمان، كما يفقدون أرزاقهم وقوتهم، ويحِلُّ الخوف والجوع، هم حائرون بالنهار، خائفون بالليل، بعد أن فقدوا الأمن والأمان والرزق، ولا أظن أنني أبالغ إذا قلت: وما الدنيا إلا هذان.

وبهذا المفهوم، من امتلك الأمن في النفس والمال، والأهل والولد، وكان معافًى في بدنه، عنده قُوتُ يومه، فهذا شأنه من حاز الدنيا بأسرها؛ قال رسول صلى الله عليه وسلم: ((من أصبح منكم آمِنًا في سِرْبِهِ، معافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا))[1].

وهذا الحديث احتوى على فوائدَ عظيمةٍ وكبيرة، لا يدركها حقَّ الإدراك إلا من تعرَّض لواحدة منها - لا قدر الله - مثل: انعدام الأمن كما في حالة الحروب، أو اعتلال البدن بالأمراض.

والفرد في حاجة دائمة للأمن والصحة والقوت، فلا يمرض الجسد أو الروح، وأن يشعر بالأمان في نفسه وأهله وجماعته، فلا يخاف وتقلق روحه، وفي حاجة للغذاء والقوت، فلا يشعر بألم الجوع والسَّغَب، وكل ذلك عند الله سبحانه وتعالى وحده؛ قال الله جل وعز: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: 1 - 4].

مع هذا يمكن قراءة واستنباط الفوائد الآتية:

الفائدة الأولى: حاجة الفرد الأساسية تتكون من ثلاث ضرورات هامة لا غِنى عنها؛ وهي: العافية والصحة، والأمن، والغذاء.

الفائدة الثانية: عافية البدن والروح، وتوفُّر الأمن والرزق هي متطلبات عظيمة، حتى إنها تعادل متاع الدنيا بكاملها.

الفائدة الثالثة: أهمية هذه المتطلبات الثلاثة وضرورتها الفائقة في الحياة.

الفائدة الرابعة: إنَّ الذي يفقد الأمن والأمان، ويعيش الخوف والرعب كما في حالات الحروب، فهو في شقاء عظيم، إلى أن يرجع له الأمن، وتنتهي الحروب ومسبباتها، أو أن ينتهي مصدر الخطر الذي يشعر الناس في وجوده بالخوف والرعب.

الفائدة الخامسة: مَنْ يَفْقِدْ صحته وعافيةَ بدنِهِ، وتُصِبْهُ الأمراض، فهو في شقاء وبلاء عظيم، إلى أن تعود له صحته وعافية بدنه وروحه، ومَن تصِبْه الأمراض، فهو لا يشقى ويتألم وحده وحسب، بل إن الألم لَيتعدَّى لكل المرافقين حوله؛ الأب يتألم إذا مرِض ولده، والولد يتألم

ويشقى إذا مرض أحد والديه، وهكذا، بل إن الألم لَيتعدى للأقارب ولكل من له صلة بالمريض.

الفائدة السادسة: من يُعْدَم قوت يومه ورزقه، فهو أيضًا في بلاء عظيم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 155].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أخبر تعالى أنه يبتلي عباده المؤمنين؛ أي: يختبرهم ويمتحنهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: 31]، فتارة بالسراء، وتارة بالضراء من خوف وجوع؛ كما قال تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: 112]، فإن الجائع والخائف كليهما يظهر ذلك عليه، ولهذا قال: ﴿ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [النحل: 112]، وقال ها هنا:

﴿ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ [البقرة: 155]؛ أي: بقليل من ذلك، ﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ ﴾ [البقرة: 155]؛ أي: ذهاب بعضها، ﴿ وَالْأَنْفُسِ ﴾ [البقرة: 155]، كمَوتِ الأصحاب والأقارب والأحباب، ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: 155]؛ أي: لا تغل الحدائق والمزارع كعادتها، كما قال بعض السلف: فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة، وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده، فمن صبر أثابه الله، ومن قنط أحل الله به عقابه؛ ولهذا قال: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 155]"[2].

الفائدة السابعة: توفُّر القوت ووجود الأمن والعافية هي أشياء عظيمة ينبغي شكرها؛ قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: 112].

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً ﴾ [النحل: 112]؛ يعني: مكة،

كانت آمنةً لا يُهاج أهلها ولا يُغار عليها، ﴿ مُطْمَئِنَّةً ﴾ [النحل: 112]: قارَّةً بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع، كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [النحل: 112]: يُحمل إليها من البَرِّ والبحر، نظيره: ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: 57]، ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ [النحل: 112]، جمع النعمة، وقيل: جمع نَعْماء، مثل بأساء وأبْؤُس، ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ ﴾ [النحل: 112]، ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين، وقطعت العرب عنهم الْمِيَرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظامَ الْمُحرَقة، والجِيَفَ والكلاب الميتة، والعهن وهو الوبر يُعالَج بالدم، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، ثم إن رؤساء مكة كلَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: ما هذا؟ هَبْكَ عاديتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ فأذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس

بحَمْلِ الطعام إليهم وهم بعدُ مشركون، وذكر اللباس؛ لأن ما أصابهم من الهزال والشُّحُوب، وتغيُّر ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، ﴿ وَالْخَوْفِ ﴾ [النحل: 112]؛ يعني: بُعُوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت تطيف بهم، ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: 112]"[3].

الفائدة الثامنة: في الحديث ترغيب للاستفادة من الوقت، فمن كان معافًى في جسده وآمنًا، وعنده رزق يومه، فلْيُخصِّص هذه النعمة ويستخدمها فيما يُرضي الله؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحةُ والفراغُ))[4].

وفي حديث عبدالله بن عباس: ((الأمن والعافية نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس))[5].

الفائدة التاسعة: تقديم الأمن على العافية والصحة، والرزق والقُوت، يدل على أهمية الأمن والأمان، وأفضليته على

باقي الضرورات، فمن كان معافًى في جسده، عنده قوت يومه، إلا أنه يفتقد الأمن، فهو لا يزال في الشقاء.

الفائدة العاشرة: وجوب شُكْرِ نِعَمِ الله كلها، ونعم الله كثيرة ولا تُحصى؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: 18].

نعم الله عز وجل على عباده كثيرة لا تُحصى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: 34]، فلا أحدَ يُطيق إحصاء عددها، فضلًا عن القيام بشكرها، ولكن الله تعالى يتجاوز عن عبادهيتجاوز عن عباده تقصيرهم في شكر نعمِهِ، وهو رحيم بهم، لا يقطع عنهم إحسانه، ولا يعذبهم بسبب تقصيرهم، فيرضى من عباده الشكرَ القليلَ، ويجازيهم عليه الثواب الكثير.

ثم نبَّههم على كثرة نِعَمِهِ عليهم وإحسانه إليهم؛ فقال: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: 18]؛ أي: يتجاوز عنكم، ولو

طالبكم بشكر جميع نعمه، لَعَجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لَضعُفتُم وتركتم، ولو عذَّبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازي على اليسير[6].

والذي يشكر نعم الله، ويعبده ويوحِّده، ولا يشرك به شيئًا، فإنه أمره كله لله، ولا يظلم ربك أحدًا، ومن آمن بالله وأفرد عبوديته لله، وصرف صلاته وزكاته وحَجَّه، ودعاءه واستغاثته ونذره، وكل عبادته للواحد الأحد الفرد الصمد، فهذا له الأمن؛ قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82].

أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمِنون يومَ القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن

عبدالله قال: ((لما نزلت: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82]، قال أصحابه: وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ فنزلت: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13])).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82]، شقَّ ذلك على الناس، وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تَعْنُون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13]، إنما هو الشرك)).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع وابن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: ((لما نزلت: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82]، شقَّ ذلك

على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنون، إنما قال لقمان لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13]))[7]

المصادر:

[1]_ سنن الترمذي.

[2]_ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

[3]_ تفسير البغوي، معالم التنزيل.

[4] _ صحيح البخاري.

[5] _ الطبراني، المعجم الأوسط.

[6] _ابن كثير، المصدر السابق.

[7] _ المصدر السابق.

الاخلاص والقوة الإلهيّة

يرتبط مفهوم القوة الإلهية بمفهوم الإخلاص والإيمان، قال الله جل وعز :(ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجآءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) [الروم :47]، وقال تعالى :(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) [غافر:51]، وقال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [محمد:7]، فإذا أخلص الفرد العبادة لله فإنه سبحانه وتعالى ينصره، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء

ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) [البينة:5].

يقرر القران الكريم أن الطاعة لابد أن تكون خالصة لله، وأنه لابد من اتباع قانونه وحده، وحرام على المرء أن يترك هذا القانون ويتبع قوانين الآخرين، أو شرعة ذاته ونزوات نفسه :(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين. إلا لله الدين الخالص) [الزمر: 3_2]. [1]

والإخلاص في العبادة ، أن يقصد الفرد بها الله سبحانه وتعالى وحده ولا يشرك به ، قال تعالى :(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [الكهف:110]، فيصلي لله لا يصلي لشمس أو قمر، أو نهر أو حجر، قال تعالى :(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)[الانعام:162]، ولا يذبح إلا لله، قال تعالى :(فصلي لربك وانحر)

[الكوثر: 2] ، ويدعو الله، قال الله تعالى: (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا) [مريم :48] ويستغيث الله، ويخاف ويخشى الله، قال الله تعالى: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران:175]، ويوحد الله في أسمائه وصفاته، ويؤمن بها من غير تمثيل أو تعطيل أو تحريف أو تشبيه، ويوحد الله في ربوبيته، فالخالق واحد والرازق واحد والقوي واحد، جل وعز.

والإخلاص في العبادة أن يكون العمل متابعا وموافقا لهدى وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو المبين للوحي ومبلغ الرسالة، ومن أعمل مخه وأجهد فكره بأعمال وعبادات يتقرب بها إلي الله على غير طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، فعمله مبتدع مردود، لا يقبله الله، وفي حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها

العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: "أوصيكم بتقوى ا، لله والسمع والطاعة وان عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يري اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ". [2]

هذا القانون الذي أمرنا الله في الآيات السالفة باتباعه والسير عليه، ليس من وسيلة لتبليغه للإنسان سوى رسول الله، فهو وحده الذي يوصل أحكام الله وشرائعه إلى البشر، وهو وحده الذي يفسرها ويشرحها بقوله وفعله، فالرسول إذن هو ممثل حاكمية الله القانونية في حياة البشر، وعلى هذا فطاعته هي عين طاعة الله، والله نفسه يأمر بقبول أوامر الرسول ونواهيه والتسليم بها دون نقاش، ويقول إن الناس لا يؤمنون حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى ويسلموا تسليما.[3]

والإخلاص هو توجيه العبودية لله وحده، وأن يكون التوجيه والقصد وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة على ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقترب معنى الإخلاص من معنى التقوى والإحسان، فإن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال :ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث" قال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" قال: ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك" قال :متى الساعة؟ قال :"ما المسئول عنها بأعلم من السائل: وسأخبرك عن أشراطها :اذا ولدت الأمة ربها، واذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن

إلا الله" ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة) الآية. ثم أدبر، فقال: "ردوه" فلم يروا شيئا، فقال: "هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم". [4]

والإخلاص والتقوى عاقبتهما الجنة قال الله تعالى :(تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) [مريم:63]، وقال تعالى:(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [الأعراف:96]، وقال تعالى:(إن للمتقين مفازا) [النبأ:31] وقال تعالى:(إن المتقين في جنات وعيون) [الذاريات:15]، وقال تعالى: (إن المتقين في جنات ونعيم) [الطور:17].

والذي أريد أن أبلغه أن منزلة الإخلاص والتقوى من المنازل التي ينبغي أن تكون من ثوابت أي مسلم، وأن النصر والتوفيق في كل شيء مناط بهما، فإذا ظننت وقدرت أن تنتصر في حرب ومواجهة

وأنت تعصي الله وأبعد ما تكون عن الإخلاص والتقوى، فقد أسأت التقدير والظن.

ويستخدم أعداء الإسلام القوة بكافة أضرابها لإطفاء نور الله، ولكنهم واهمون وضعفاء، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [التوبة:33_32]، أن إراداتهم وقوتهم لا تساوي شيئا أمام إرادة القوي المريد جل وعز.

في التوضيح عن هذا الفهم الذي يراود الأعداء يقول "محمد الغزالي" في كتاب (حصاد الغرور): ألا لعنة الله على تجار الحروب وموقدي نارها.! كم نود أن يتوطد السلام في عالم تستقر فيه حقوق الإنسان وكرامات الأمم.. لكن هل مستقبل الإنسانية يأخذ هذا الاتجاه؟ كلا.. ونحن المسلمين في هذه الآونة

الحاسمة، نشعر بأن الآخرين يقيمون كيانهم على أنقاضنا، ويبنون سعادتهم على شقوتنا، وعندما يضع نفر من الناس خطتهم في الثراء على ثروة مسروقة، أو خطتهم في البناء على أرض منهوبة، فهيهات أن يتمخض هذا البدء عن نهاية صالحة، إنه كمسلك أخوة يوسف عندما رسموا الطريق لراحتهم المنشودة فقالوا (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) [يوسف :9]، هكذا تتعاون الصهيونية والصليبية على إقامة السلام العالمي ومنع الحروب الدينية أو المدنية. اسحقوا العرب والإسلام وأقيموا لبني إسرائيل دولة كبرى على أطلال هذا الماضي الكريه، وبعدئذ سيحظى العالم بالاستقرار والرفاهية، هذه هي سياسة الآخرين تجاهنا.[5]

إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طبقوا الإسلام في حياتهم ومعاشهم تطبيقا عمليا، وتمثلوا كلام الله جل وعز، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، في كل سكناتهم

وحركاتهم، فسادوا بهذا التمثل والالتزام الأرض، وأصبحوا فيها قوة عليا ومسيطرة.

إن الإسلام يفجر طاقات الأفراد، ويحول القوى الكامنة فيهم إلى قوى حرة ظاهرة، لا إلى قوة أرضية صغيرة لها بدايات ونهايات، لكن إلى قوة أكبر، قوة كونية.

قال الله تعالى:(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقال:(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين. ألا لله الدين الخالص)، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم:(قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه)، وقال له:(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)، وقال:(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)، قال الفضيل ابن عياض :هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟فقال :إن

العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، وقال تعالى :(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)فإسلام الوجه :إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته، وقال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)، وهي الأعمال التي كانت على غير السنة أو أريد بها غير وجه الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله تعالى: إلا ازددت به خيرا ودرجة ورفعة"، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم :إخلاص العمل لله، ومناِصحة ولاة الامر، ولزوم

جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"، أي لا يبقى فيه غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله وتنقيه منه وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلا ودغلا، ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه :بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السنة. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل: يقاتل رياء، ويقاتل شجاعة، ويقاتل حمية: أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله." وأخبر عن أول ثلاثة تسعر بهم النار: قارئ القرآن والمجاهد والمتصدق بماله، الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان متصدق، ولم تكن أعمالهم خالصة لله، وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به، وأنا منه برئ". وفي أثر آخر: يقول له

يوم القيامة: "اذهب فخذ أجرك ممن عملت له لا أجر لك عندنا".

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم"، وقال تعالى: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم). وفي أثر مروي إلهي "الإخلاص: سر من سري، استودعته قلب من أحببته من عبادي".

وقد تنوعت عباراتهم في "الإخلاص" و "الصدق" والقصد واحد، فقيل: هو أفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، و "الصدق" التنقي من مطالعة النفس. فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر، وقيل: من شهد في إخلاصه الإخلاص، احتاج إخلاصه إلى إخلاص، فنقصان كل مخلص

في إخلاصه: بقدر رؤية إخلاصه، فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص، صار مخلصا مخلصا.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه، والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه اعمر من ظاهره.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس: رياء، والعمل من أجل الناس: شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما". [6]

الهوامش:

[1]_ أبو الأعلى المودودي، تعريب أحمد إدريس، الخلافة والملك،) الكويت : دار القلم، ط1.، (1978، ص.16

[2]_ أبو عيسي محمد بن عيسي، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، الجزء الخامس ،) القاهرة :شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي ، ط1.، (1962، ص.44

[3]_أبو الأعلى المودودي، المصدر السابق، ص.17

[4] _أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، الجزء الأول ،) القاهرة :المكتبة السلفية، ط1.، 1403 هـ (، ص.33.

[5]_ محمد الغزالي، حصاد الغرور،) القاهرة :دار الشروق (، ص.74

[6]_ أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، مدارج السالكين بين منازل) إياك نعبد وإياك نستعين (، الجزء الثاني ،) بيروت : دار الكتاب العربي،ط7.، (2003 ، ص 88_92.

هل تحقق الصين التعددية القطبية الجديدة؟

على مدى ما يقرب ثمانية عقود ظلت الإدارات الأمريكية المتعاقبة، تتعامل مع ملف النزاعات العربية خاصة النزاع العربي_الإسرائيلي، باعتبارها وسيطا غير نزيه على إعادة السلام والأمن إلى المنطقة، ووقوفها المساند دائما لإسرائيل، وباعتبارها راعية للسلام والفوضى الخلاقة في وقت واحد، ولهذه الاعتبارات وربما غيرها كانت الحاجة إلى فاعل ومعادل أخر، أكثر قوة وفعالية، ليس في حلحلة النزاعات العربية خاصة وحدها، ولكن لحاجة المنطقة الإقليمية بأكملها إلى عودة الاستقرار والسلم.

ولأن الصين الشعبية ترفض انفراد دولة واحدة بمقدرات النسق الدولي، ولا تميل إلى الدخول في تحالفات مع دول أخرى أو تشكيل أي جبهات في مواجهة قوى معينة، وحرصت على تنحية الخلافات الأيديولوجية بينها وبين دول المنطقة جانبًا، وتنمية علاقات أكثر تعاونية قوامها المصلحة المتبادلة، وهو الأمر الذي يتناسب مع توجهات عدد من دول العالم من أجل تحقيق مستوى أكبر من الاستقرار على الصعيدين الإقليمي والدولي. [1] فقد كانت تمثل وجهة جديدة يمكن بها فرض توازن قوى جديد في المحيطين الإقليمي والعالمي.

ورغم أن ما يميز الصين الهدوء والابتعاد عن الصراعات والنزاعات السياسية في المجتمع الدولي، إلا أنها ترتكز على استراتيجية مختلفة تماما عن الاستراتيجية الأمريكية القائمة على استخدام القوة الفجة، وتوجيه الصراعات بما يخدم مصالحها أولا، فقد كانت الاستراتيجية الصينية تقوم على

مبدأ "نسق دولي متعدد القطبية" وهو يعد مبدأ رئيسيًا في حركة السياسة الخارجية الصينية، حيث اتضحت معالمه عالميا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي، ودعمت الصين مبدأ "عالم متعدد الأقطاب" يقوم على عدد من القوى الدولية التي باستطاعتها أن تحقق التوازن مع التأثير العالمي للقوة الأمريكية، رفضت الصين الهيمنة الأمريكية على الشئون العالمية ودعت لنسق دولي متعدد الأقطاب يحقق مصالح الأطراف كافة وهو ما انعكس على الصين وسعيها نحو تأسيس "نسق دولي متعدد الأقطاب"، لذا، تركزت الرؤية الصينية على ضرورة تعزيز القوة الصينية الشاملة للوصول إلى نسق دولي تعددي. [2]

ومن أجل تطبيق ذلك المبدأ فقد كان اهم ما يميز السياسة الخارجية الصينية هو الابتعاد عن الدخول في النزاعات الدولية، وتركيزها بالضرورة على

العلاقات الخارجية التي تخدم أهداف التنمية الاقتصادية التي بدورها تقود إلى تحقيق السلم والأمن الدوليين، واعتمدت في ذلك بشكل رئيس على قوتها الناعمة وسعيها في التزام استراتيجية الفائز- الفائز " Win-Win Cooperation" بعيدًا عن المعادلة الصفرية Zero-sum game

الإطار النظري الصيني للعلاقات الدولية في فترة ما بعد 1978 يكشف عن وجود توجهين:

1. نظريات النزعة البراغماتية على حساب المنظور الأيديولوجي: [3] فحتى التسعينيات من القرن العشرين، دارت المناقشات في الأدبيات السياسية الصينية حول طبيعة النظام الدولي، وتركزت هذه المناقشات على الأسئلة التي طرحها المفكر الصيني كين QIN سنة 1978 والمتمثلة في عدد من التساؤلات الاستراتيجية حول كيفية النظر للنظام الدولي من زاوية الحرب والصراع، أم

من زاوية السلام والتنمية؟ أو التساؤل حول هل تحقق الصين أهدافها من خلال الاندماج في النظام الدولي، أم من خلال التنافس والقوة؟

وسعت الأدبيات الفكرية الصينية إلى أساس صياغة نظام دولي طبقاً لمنظور يقوم على التعددية القطبية، ثم التحول من دولة تريد تغيير النظام الدولي القائم، كما كان الحال في فترة "ماوتسي تونغ "، إلى دولة تسعى للاندماج في النظام القائم إلى حدّ تقديم نفسها كقائدة لمسيرة العولمة، ولكن هذه الدولة تشترط في هذا الإطار القبول بها كدولة تريد مكانة خاصة في النظام الدولي تتناسب ومكانتها الدولية الصاعدة.

وقد استندت هذه التوجهات لمنظور فكري حددته نظريتان سادت الفكر الصيني المعاصر بعد موت "ماوتسي تونغ"، وهي: [4]

أ. نظرية قفص العصفور bird-cage theory التي طرحها Deng Xiaoping، والتي تقوم على فكرة عدم التخلي عن الاشتراكية مع توظيف بعض ميكانيزمات الرأسمالية، أي أن تبقى الصين في" قفص الاشتراكية" مع ضرورة توسيع مساحة القفص.

ب. نظرية لون القط التي صاغ فكرتها "لوي جيوي" Lou Jiwei، وهي التعبير عن النزعة البراغماتية في التوجهات الصينية لفترة ما بعد "ماوتسي تونغ"، فليس مهماً لون القط، المهم أن يصطاد الفئران، أي أن المهم هو النتائج الاقتصادية والسياسية بغض النظر عن "اللون العقائدي".

2. تعززت التوجهات الفكرية ذات النزوع البراغماتي بتنامي نزوع قومي صيني تجسدت ملامحه في الشروع في إحياء التراث الصيني منذ عهد هسيا Xia Hsiaوالتي تعود إلى 2200 قبل الميلاد.

ومنذ انتهاء الحرب الباردة تحولت الصين إلى التزام سياسات جديدة تحاول من خلالها إحداث تحول في بنية النظام الدولي، وهو إحداث التحول من آحادي القطبية إلى نسق متعدد الأقطاب أو إلى الوصول إلى حالة من اللاقطبية في النسق الدولي وكان مشروع "الحزام والطريق" أو "طريق الحرير" هو المبادرة التي خرجت بها الصين على العالم في شكل بيان صدر في 18 أغسطس 2003، أكدت فيه ضرورة الاحترام المتبادل للسيادة والسلامة الإقليمية وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول، وإدارة الصراعات الدولية سلميًا، ومعارضة استخدام أو التهديد باستخدام القوة، ودعم مفهوم جديد للأمن يكون جوهره الثقة المتبادلة والمساواة في السيادة بين الدول أيًا كانت ظروفها الاقتصادية والسياسية، وتحقيق التعاون المنفعي المتبادل والتنمية المشتركة بين الدول كافة.

ولأن السمة الغالبة للعلاقة العربية الصينية هي السمة السلمية لأن التاريخ القريب والبعيد لا يشير إلى نزعة تدخل عسكري من الصين في المنطقة العربية على عكس الاجتياح والاستعمار الغربي القديم والحديث للمنطقة فقد كان لذلك كله مؤشرات جيدة للصين الشعبية في مبادرتها التي تحتاج فيها إلى تأمين حاجاتها من مصادر الطاقة المختلفة سواء النفط أو الغاز الطبيعي في توفير الأمن والحماية للطريق التجاري البري والبحري لمشروع "الحزام والطريق".

وبدورها فان مبادرة الحزام والطريق الصينية كانت تمثل واقعا جديدا للعلاقات العربية الصينية، فقد وقعت مع الصين نحو 18 دولة عربية اتفاقات للمشاركة في هذه المبادرة، وانضمت تسع دول عربية إلى البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية.

ومن منطلق هدف إرساء نسق دولي تعددي، اتبعت الصين عدد من الآليات

تهدف إلى الحوار السلمي وتعزيز التعاون والاستفادة المتبادلة، ويعد مدخل توسيع العلاقات التجارية والتعاون التكنولوجي، والمبادلات العلمية والثقافية مع كل دول ومناطق العالم، ومن ثم، تشجيع ما يصفه الصينيون بالرخاء المشترك، أحد المداخل الجوهرية التي تتمسك بها الصين في تنمية علاقاتها الخارجية. [5]

مع هذا، وفي خطوة مفاجئة ليست للخصم التقليدي الولايات المتحدة وحدها فقد فجرت الصين مفاجأة كبيرة من نوعها، في رعايتها وإنجازها للاتفاق التاريخي بين المملكة السعودية وإيران بما يحسب إنجازا للدبلوماسية الصينية بعد قطيعة استمرت سبع سنوات كاملة بين الدولتين الجارتين وبما يعتبر أيضا محاولة للتموضع في النظام الدولي الجديد الذي تعمل الصين جاهدة على وصوله إلى حالة من تعدد الأقطاب أو اللاقطبية.

في كتابه (الدول المارقة) يقول "نعوم تشومسكي": حذر "جوزيف ناي" من أن صعود القوة الناعمة للصين- على حساب نظيرتها الأمريكية-هو أمر يحتاج إلى وقفة جادة وخطيرة، فعناصر القوة الصينية لا تقتصر على تلك المتعلقة بالقوة الصلبة، وإنما تتزايد قوتها الناعمة بشكل مستمر، فالحضور الصيني الدائم على الساحة الإقليمية والدولية يرتكز على أساس من سرعة التنامي الاقتصادي، والاندماج المطرد في الاقتصاد العالمي، وكذلك الدور السياسي الذي تلعبه الصين في النسق الدولي، إضافة إلى التواجد الثقافي المكثف على المسرح الدولي. [6]

الـهوامش:

[1]_ عبد القادر محمد فهمي، دور الصين في البنية الهيكلية للنظام الدولي، (أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2000). ص 20

[2]_حسن إبراهيم سعد، السياسة الخارجية الصينية تجاه إفريقيا منذ انتهاء الحرب الباردة، رسالة دكتوراه، (جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم السياسة والاقتصاد، 2007). ص 120

[3]_ وليد عبد الحي، الانخراط الحذر: هل تقيد سياسة التوازن دور الصين في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد 207، كانون الثاني/ يناير 2017، ص 25-30.

[4]_ وليد عبد الحي، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي

1978-2010 (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2000). ص 51

[5]_الشيماء هشام أبو الوفا، السياسة الصينية في النظام الدولي من 1990 إلى 2005، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2008). ص33

[6]_نعوم تشومسكى؛ تعريب: أسامة أسبر، الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية، (الرياض، مكتبة العبيكان، 2004)

من أسباب الهزيمة: الشرك بالله

التاريخ حافل بنماذج الطغيان، وجبروت الدول التي انهارت وتمزقت وفشلت بأسباب داخلية ذاتية؛ كانت نتيجة فساد التصور الحقيقي للقوة، التي ربما تملكها الدولة وهو الفساد الذي يترافق مع فساد المعتقد والديانة قال الله تعالي :(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) [الإسراء:16]، (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) [الكهف:59].

ومن أسباب فساد التصور الحقيقي للقوة، وانحراف هذا التصور؛ فساد المعتقد وهو من أكبر الأسباب المؤدية

إلي الخذلان والهزيمة بل والانهيار، فمن جعل إلهه هواه، واتخذ دينه بغير هدي من الله ولا برهان، تكالبت عليه الدنيا، ونافسوها كما تنافسوها الأمم السابقة، وحقت عليهم كلمة العذاب، قال الله تعالي:(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله علي علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [الجاثية :23].

ومن أشرك بالله وغرته الأماني، فان الله يستدرجه مهما أوتي من قوة، ويخسف به، ويأخذه أخذ عزيز مقتدر، قال الله تعالى:(فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين) [القلم :45_44].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن عوف: "فو الله ما الفقر اخشي عليكم، ولكني اخشي أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم"[1]

ومن يشرك بالله فان الله يقصمه، ولا تنفعه قوته ولا عتاده، ولا دعته شيئا، وضرب الله مثلا لرجلين، آتي الأول جنات من أعناب وأموال وأولاد، ولكنه انحرف بهذه النعم إلى الشرك ولم يتقرب إلى الله بالشكر والطاعة، بل انه قال للأخر: أنا خير منك! قال الله تعالى: (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا. كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا. وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا واعز نفرا. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا. قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا اقل منك مالا وولدا. فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل

عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا. أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا. وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا. ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) [الكهف:43_32].

ونهى الله سبحانه وتعالى عن الشرك (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن اعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو واليه مآب) [الرعد:36]، (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) [النساء:36]، (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا

يشكرون) [يوسف:38]، (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) [النساء: 116]، (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [الكهف: 110]، (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) [النحل:86].

والشرك هو أعظم الظلم قال الله تعالى :(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان: 13]، وقد شق على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتناب الظلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله رضي الله عنه في باب (ما جاء في المتأولين) في صحيح البخاري، قال: لما نزلت هذه الآية :(الذين آمنوا ولم يلبسوا

إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)". [2]

ومن الشرك الاستغاثة بغير الله سبحانه وتعالى، فإن الاستغاثة التي هي حقيقة اللجوء لله سبحانه وتعالى وطلب العون منه، هي من ركائز التوحيد وأفراد الله بالعبودية، وهي تتضمن معاني الإيمان بحقيقة القوة المطلقة لله القوي العظيم، والقدرة المطلقة التي لا تشابهها وتماثلها قدرة أو قوة.

ومنه دعاء غير الله، والدعاء هو توجه الفرد إلي الله سبحانه وتعالى، والطلب منه حتى شراك النعل، فالدعاء هو إقرار واعتراف بالضعف والعجز، والمدعو سبحانه وتعالي هو القوي والقادر والعليم والوهاب، والدعاء عبادة، عن النعمان بن بشير: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: " إن الدعاء هو العبادة". [3]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لم يدع الله، سبحانه، غضب عليه ". [4]

ودعاء غير الله هو شرك

المصادر:

[1]_أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، الجزء الرابع، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، ط.1، 1962)، ص641.

[2]_ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، الجزء الرابع، (القاهرة: المكتبة السلفية، ط.1، 1403هـ)، ص282.

[3]_أبو عبد الله محمد بن يزيد القز ويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، سنن ابن ماجة، الجزء الثاني، (القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط.1، 1954)، ص1258.

[4]_ المصدر السابق، ص 1258.

المحكمة الجنائية الدولية والكيل بمكيالين

تعقيبا على مذكرة التوقيف التي أصدرتها المحكمة الجنائية الدولية يوم الجمعة 17مارس 2023، بحق الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" لـ"مسؤوليته في جرائم حرب" ارتكبت في أوكرانيا، والتي انتهت المحكمة في بيانها إلى إن "بوتين" متهم بأنه مسؤول عن جريمة الحرب المتمثلة في الترحيل غير القانوني للأطفال، والمدنيين من المناطق المحتلة في أوكرانيا إلى الاتحاد الروسي، واستندت المحكمة في حيثياتها إلى تحقيق فريق تابع للأمم المتحدة، جاء فيه أن نقل أطفال أوكرانيين إلى المناطق الخاضعة لسيطرة موسكو في أوكرانيا وإلى روسيا،

يشكل "جريمة حرب"، مشيرا أيضا إلى احتمال ارتكاب "جرائم ضد الإنسانية".

إضافة فقد أصدرت المحكمة مذكرة توقيف أخرى ضد المفوضة العليا الرئاسية لحقوق الطفل في روسيا "ماريا أليكسييفنا لفوفا-بيلوفا"، وقال المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية، إن القضية تتعلق بأخذ القوات الروسية مئات الأطفال الأوكرانيين من دور الأيتام في أوكرانيا، قبل أن يجري عرض الكثير منهم للتبني لاحقا في روسيا.

وقبل أن نعقب على سطور قرار المحكمة الجنائية الدولية، فأنه من المفيد هنا أن نقف على القرار السابق والذي كانت قد أصدرته بخصوص الرئيس السوداني الأسبق "عمر البشير"، ففي يوم 4 مارس 2009م أصدرت المحكمة الجنائية قرارا باعتقال الرئيس " عمر البشير"، وذلك بتهمة ارتكاب "جرائم حرب" و"جرائم ضد الإنسانية"، كما ذكرت،

وقالت المحكمة وقتذاك أن "البشير" مسؤولا جنائيًا، باعتباره مرتكبا غير مباشر أو شريكا غير مباشر، عن تعمد توجيه هجمات ضد عدد كبير من السكان المدنيين في إقليم دارفور.

رغم كل ذلك فانه عندما ذهب "البشير" إلى دولة جنوب إفريقيا، بما في ذلك من تحد سافر وقوي للجنائية الدولية وقرارتها، وعندما قامت مجموعة صغيرة بتقديم طلب لمحكمة نائية في جنوب إفريقيا لإيقاف "البشير" من مغادرة الأراضي الجنوب أفريقية واعتقاله، إلا أن وزير الدولة بالخارجية السودانية أكد على سلامة موقف" البشير" وعدم وجود أية خطورة عليه.

وقتها كانت الرؤية العامة أن هذا الأمر لن يتم كما تتوقع المحكمة الجنائية، لأن قرار المحكمة لن يتم تنفيذه من قبل الحكومة الجنوب أفريقية، التي هي ملتزمة بقرارات

الاتحاد الأفريقي الخاصة بعدم التعاون مع محكمة الجنايات الدولية، ليس ذلك وحسب بل أن جنوب أفريقيا قد أبلغت السودان مسبقًا بأنها ستوفر كافة الإجراءات اللوجستية والأمنية ل- "البشير "وذلك ضمن التزامها التام بقرارات الاتحاد الأفريقي.

إضافة فإن حزب المؤتمر الحاكم في جنوب أفريقيا قام بالتصريح يوم 14 يونيو، بأن المحكمة الجنائية الدولية لم تعد تصلح للغرض الذي أقيمت من أجله، ودعا المحكمة الدولية لإعادة مراجعة قوانينها ليتم تطبيقها على جميع الدول الأعضاء بالأمم المتحدة، لضمان وجود محاكمة عادلة ومستقلة من أجل تحقيق العدالة الشاملة والمنصفة.

صحيح أن المحكمة الجنائية الدولية بموجب نظامها الأساسي، الذي تم إقراره في مؤتمر روما الدبلوماسي بتاريخ 17 يوليو 1998، والذي دخل حيز التنفيذ في 1 يوليو 2002، تعتبر هيئة دولية

لها السلطة لممارسة اختصاصها على الأشخاص إزاء أشد الجرائم خطورة في موضع الاهتمام الدولي، مثل جرائم الإبادة الجماعية، وجرائم الإنسانية، وجرائم الحرب، إلا أن القرار الصادر من المحكمة في حق "بوتين" هو قرار هزيل يشابه القرار الذي اصدر بحق "البشير"، وليس سليم من الناحية القانونية، ولا يخدم إلا الغرض الدعائي والعدائي فقط فيما أتصور، ومحاولة من محاولات هزيمته قانونيا، مع أن القرار لا يملك سندا قانونيا لأن روسيا لا تعتبر من الدول المنضمة لمعاهدة روما بالأساس.

مع هذا فإن روسيا كانت قد وقعت على الاتفاقية الخاصة بمحكمة الجنايات الدولية في العام 2000، لكنها عادت وانسحبت منها في العام 2016، بعد أن رفض مجلس الدوما الروسي المصادقة على ميثاق روما الخاص بتأسيس هذه المحكمة، وبدلا من أن تلجا المحكمة الجنائية لوسائل قانونية أخرى من شأنها

المساهمة في حل الصراع الروسي_ الأوكراني بالوسائل الدبلوماسية والحوار، شأنها في ذلك أن تهتدي بالحكمة الصينية، التي تمكنت من تسهيل الاتفاق بين المملكة السعودية وإيران، فإنها على العكس من ذلك كانت تصب الزيت في النار!

وفي الوقت الذي ذكرت فيه المتحدثة باسم الخارجية الروسية" ماريا زاخاروفا" في ردها على قرار المحكمة الجنائية الدولية: إن قرار إصدار مذكرة باعتقال الرئيس "بوتين" لا أهمية له على الإطلاق.. وروسيا ليست طرفا في نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، ولا تتحمل أي التزامات بموجبه.. لا تتعاون روسيا مع هذه الهيئة، وستكون المذكرات المحتملة للاعتقال الصادرة عن محكمة العدل الدولية باطلة من الناحية القانونية بالنسبة لنا.. فإن الرئيس الأميركي " بايدن" كان يؤكد إن نظيره الروسي "فلاديمير بوتين"، ارتكب جرائم حرب في

أوكرانيا بالفعل، وأن قرار المحكمة الجنائية الدولية إصدار مذكرة اعتقال بحقه له ما يبرره، وهذا في حد ذاته يؤكد أن مسار الولايات المتحدة هو تأييد المزيد من التصعيد العسكري، وابتعادا من الحلول السياسية والدبلوماسية لحلحلة النزاع الروسي _الأوكراني.

ولأن المحكمة الجنائية الدولية هي مؤسسة قائمة على معاهدة واتفاقية ملزمة فقط للدول الأعضاء فيها، فهي ليست كيانا فوق الدول بل هي كيان مماثل لغيره من الكيانات القائمة، إلا انه ليست روسيا وحدها التي لم توقع على اتفاقية روما، لكن لم توقع الولايات المتحدة وإسرائيل أيضا على الاتفاقية! وإذا كان لنا أن نسأل عن الحق القانوني الذي تستند إليه المحكمة في حيثياتها ومنطوق قرارها، فأين قراراتها التي لا تجافي روح العدل والإنصاف، ضد ما تقوم به دولة الاحتلال إسرائيل، من بطش وقتل عنيفين، وجرائم

الحرب ضد الأبرياء في فلسطين، بل أين هو القرار الذي ينص على اعتقال "نتنياهو" و "بتسلئيل سموتريتش" الذي ينكر وجود شعب فلسطين ويقول إنه اختراع وهمي لم يتجاوز عمره مائة سنة. الحقيقة الفادحة هي أن الجنائية الدولية تتبع نظام الفاعلين الأمريكي والإسرائيلي وتكيل بمكيالين مختلفين.

خزانات التفكير : دورها العلمي وأثرها في صنع القرار السياسي

تعتبر مراكز التفكير أو خزانات التفكير أو مؤسسات الأبحاث والدراسات الاستراتيجية أو أحيانا صندوق الأبحاث والدراسات، هي من أعمدة الدولة وأركانها الهامة من الدرجة الأولى، باعتبار دورها الاستشرافي المستقبلي الذي يقدم حماية مجانية للأفراد والدولة وربما لأجيال متعاقبة، مع أن هناك دولا لا تهتم بمراكز الأبحاث، وربما تمنع وجودها ؛ خاصة في الدول القمعية والأنظمة التسلطية والدكتاتورية ؛ ومنبع الأهمية ل-مراكز وخزانات التفكير في الدول التي تتميز بحجم ولو قليل من الديمقراطية والحرية، هو

كونها حلقة وجزء من مراحل رسم السياسات وصنع القرار السياسي ، بعبارة أخرى يمكن القول دون وجل ، أنها مؤسسات أكاديمية علمية بحتة، تقدم البدائل والخيارات المتاحة والأنسب لصانع القرار لحماية مصالح الدولة والحكم الرشيد.

في هذه الدراسة البحثية قسم الباحث اطار الدراسة إلى عدة أقسام، تشمل تعريف خزانات التفكير ، وأهمية مراكز وخزانات الفكر ، ثم تناول القسم الثالث أنواع مراكز الابحاث والتفكير ، وفي القسم الرابع تصنيف مراكز الأبحاث وخزانات التفكير، وتناول المحور الخامس أهداف مراكز الدراسات والأبحاث والادوار الوظيفية لها، واختتمت الدراسة في القسم السادس ب- الإشكاليات والمعوقات التي تتعرض لها مراكز الدراسات والأبحاث، ثم خاتمة الدراسة.

تعريف خزانات التفكير :

تعرف خزانات التفكير أو مراكز الأبحاث والدراسات بأنها مراكز علمية اكاديمية تقوم بعمل الأبحاث والدراسات الاستراتيجية أو الاستشرافية المستقبلية، بهدف الوصول إلى الحقائق الناصعة المجردة، والخيارات والاقتراحات المناسبة في القضايا السياسية أو الإقتصادية أو الفكرية أو المجتمعية أو أي مجالات حياتية أخرى.

مراكز التفكير هي مؤسسات تهتم بأبحاث السياسات العامة وتحليلها، وتوفر المعلومات، وتقدمها بطريقة مفهومة وموثوقة، وتستقرئ المسارات المستقبلية المحتملة؛ وبالتالي تقوم بتقديم النصح والمشورة محلياً وعالمياً، لتعين صانع القرار في الجهات الرسمية وغير الرسمية في اتخاذ القرارات المناسبة.[1]

حتى وقت طويل، ظلت مسألة تعريف المؤسسات البحثية تثير إشكاليات عدة. وعلى الرغم من أن عبارة «Think Tanks»

كانت تُستخدَم فى الأصل فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية للإشارة إلى قاعة آمنة أو بيئة مُلائِمة يلتقى فيها خبراء الشئون الدفاعية والمخططون العسكريون لمناقشة المسائل الاستراتيجية المرتبطة بها، فإن المصطلح نفسه ظل يستخدم منذ ذلك الحين لوصف أنواع مختلفة من المؤسسات المنخرطة فى نشاط السياسة وتحليل مرتسماتها.[2]

وتعرفها مؤسسة راند RAND للأبحاث، بأنها هي تلك الجماعات أو المعاهد المنظمة بهدف إجراء بحوث مركزة ومكثفة، وهي تقدم الحلول والمقترحات للمشاكل بصورة عامة وخاصة في المجالات التكنولوجية ، والاجتماعية، العسكرية ، والاستراتيجية، أو ما يتعلق بالأمن القومي والتسلح.[3]

ويعرفها "هاوارد.ج.ويردا " Howard J Wiard بأنها عبارة عن

مراكز للبحث والتعليم، ولا تشبه الجامعات أو الكليات، كما أنها لا تُقدِم مساقات دراسية؛ بل هى مؤسسات غير ربحية، وإن كانت تملك «مُنتجا» وهو الأبحاث. هدفها الرئيسى البحث فى السياسات العامة للدولة، ولها تأثير فعال فى مناقشة تلك السياسات. كما أنها تركز اهتمامها على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والسياسة العامة، والدفاع والأمن والخارجية. كما لا تحاول تقديم معرفة سطحية لتلك المسائل، بقدر مناقشتها والبحث فيها بشكل عميق، ولفت انتباه الجمهور لها.

أهمية مراكز الفكر:

ولأن مراكز الفكر والأبحاث تقوم بدور يرقى لوصفه إنسانيا ورساليا، بما تقدمه من مجهود استشرافي وعلمي محض يصب في مصلحة الأفراد والدولة بل والإنسانية جمعاء ؛ من أجل حياة آمنة مستقرة، فإنه نسبة لهذه الاعتبارات تعد من أهم المؤسسات التي ينبغي

رعايتها وإعطائها قدرها من الإهتمام، والدعم المادي والمعنوي والأمني.

ليس هناك شك في أن مراكز الفكر أصبحت تحتل مكانة مرموقة في العالم المتقدم؛ وخاصة في مجال صنع القرار السياسي؛ وأصبحت تسمى بمستودعات التفكير؛ وأصبحت الدول تعتمد علي هذه المراكز بدرجة كبيرة لإصدار التقارير والدراسات لحل القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ وقلما توجد دولة في العالم المتقدم أو منظمات المجتمع المدني أو صناع القرار بصفة عامة لا تعتمد علي هذه المراكز في صياغة القرارات الهامة؛ بالإضافة إلي الدور الهام الذي تلعبه هذه المراكز في استشراف المستقبل وبالتالي تمكن صناع القرار من صياغة القرارات الاستراتيجية المستقبلية لمواجهة الاخطار المحتملة. [4]

أنواع مراكز الدراسات والأبحاث:

تصنف مراكز الأبحاث والدراسات وفقا للإختصاص، وما تقوم ببحثه ودراسته، فيمكن أن نعدد أنواعا من المراكز وخزانات التفكير الأمنية والدفاعية ليس لديها دراسات سوى تطوير صناعة الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، ومراكز أخرى تختص فقط بتطوير وتحديث الصواريخ، بينما هناك مراكز استراتيجية تختص خزانات التفكير فيها بالبحث في العلاقات الدولية وتحليل الاوضاع العامة للدولة، وتقدم تقييمات لصانع القرار السياسي عن أفضل الخيارات المتاحة لاستقرار الدولة في المحيط الإقليمي أو العالمي، كما أن هناك خزانات تفكير تختص فقط بالنواحي الاقتصادية للدولة، وكل دراسات من شأنها ان تحقق نموا وطفرة اقتصادية إنمائية للدولة.كما توجد مراكز بحثية اكاديمية بحتة تختص بعلوم الفضاء، وأخرى بالطب والصيدلة وغيرهم من العلوم الحياتية ، وعلى ذلك فإن تصنيف خزانات التفكير إلى أقسام محددة

وثابتة يعتبر أمرا شاقا لا يمكن أن يغطي كافة المجالات.

تصنيف مراكز الفكر:

تصنف مراكز الفكر إلي عدة اتجاهات :

المراكز الاكاديمية : تقوم بأعداد بحوث محايدة وتتميز بتنوع مصادر دعمها المادي .

المراكز التعاقدية : وهي المراكز التي تعقد تعاقدا مع الحكومات سواء محلية أو دولية لإعداد الدراسات والابحاث التي تهدف إلى تقديم المشورة للجهات الحكومية؛ وتتلقى أتعابا من هذه الهيئات مقابل تلك الدراسات .

المراكز الترويجية : هي المراكز التي تحاول اعداد الدراسات والبحوث العلمية ؛ ولكنها متحيزة إلي وجهة نظر معينة تحاول الترويج لها ؛ ويأتي مصدر تمويلها من جهات متحيزة إيديولوجيا .

المراكز الحزبية : وهي المراكز التي تعد الدراسات والادبيات التي تدعم وتأييد حزب معين ؛ ولا تهتم كثيرا بالظهور بمظهر علمي أو أكاديمي؛ ولكنها تحاول الترويج للحزب التابع لها أو أنصار ذلك الحزب؛ وبالتالي تتلقى تمويلها من ذلك الحزب .[5]

مع ذلك يمكن تصنيف خزانات ومراكز التفكير وفقا للاتجاهات والميول السياسية السائدة في الدولة ، إلى مراكز تابعة للدولة ونظامها السياسي، وتقدم دراسات وتقارير تعمل على الدفاع عن السلطة الحاكمة، وتثبيت أركان حكمها. وخزانات تفكير أخرى تابعة لنظام سياسي معارض لنظام الحكم القائم ، وتقدم أيضا دراسات وتقارير مضمونها العمل على هدم النظام السلطوي القائم.وربما تتعدد هذه المراكز والخزانات داخل حدود الدولة وخارج حدودها تحت أسماء ظاهرة أو مستترة

أحيانا. في الولايات المتحدة على سبيل المثال يوجد نحو 1200_1300 مركز بحثي ، كل عملها هو صياغة السياسة الخارجية الأمريكية.

تؤثر هوية مراكز الفكر على استقلاليتها سواء بالنسبة لأجندتها البحثية، أو لمصادر تمويلها ومدى استمرارية تلك المصادر. في هذا الإطار تصنف مراكز الفكر وفق ست مجموعات:

مراكز مستقلة Autonomous Independent: مستقلة في ممارسة أنشطتها ومصادر تمويلها عن الحكومة وأية جماعة مصالح أو جهة مانحة.

مراكز شبه مستقلة Quasi Independent: هى مراكز مستقلة عن الحكومة، ولكن أغلب مصادر تمويلها يأتي من جماعات المصالح، أو جهة مانحة، أو وكالة تعاقدية Contracting Agency. كما أن هذه الجهات لديها تأثير واضح على عمليات مراكز الفكر.

مراكز تابعة للجامعة University Affiliated : هى مراكز بحث تعمل داخل الحرم الجامعي.

مراكز تابعة للأحزاب السياسيةPolitical Party Affiliated: تنتمي رسمياً للأحزاب السياسية.

مراكز تابعة للحكومة Government Affiliated: هى جزء من هيكل عمل الحكومة ، ومن ثم تحصل على كافة امتيازات الجهات الحكومية وعليها ذات الواجبات.وتمارس دورها كمراكز فكر تسعى لتقديم ملخص السياسات ومقترح التشريعات لرفعها لصناع القرار ، ومنها ما يتواصل مع الجمهور ومنها ما يقتصر دورها على التواصل على صناع السياسة العامة. إلا أن هناك من يستثني تلك المراكز من كونها مراكز فكر نظرا لتبعيتها للحكومة وما يترتب علية من تدخلها في وضع وتحديد أجندتها حتى أن البعض قد يشكك في نزاهة المقترحات

ونتائج الدراسات التي تصدرها وتعلنها للجمهور.

مراكز شبه تابعة للحكومة Quasi Governmental: تمول بواسطة المنح الحكومية والتعاقدات الحكومية، إلا أنها ليست تابعة رسمياً للجهاز الحكومي[6].

أهداف مراكز الدراسات والأبحاث والادوار الوظيفية:

تختلف وظائف وادوار مراكز الأبحاث والدراسات بحسب طبيعة تكوينها وتوجهها، إلا أنها تشترك جميعا في تقديم الاستشارة الجديدة المستقلة ، الخالية من التبعية أو الارتجال، أو المصلحة، لجهات الاختصاص والتنفيذ، بما من شأنه تقديم واقع حياتي أفضل، بناء على أسس علمية منهجية.

عموما يمكن ذكر بعضا من هذه الوظائف، دون الإشارة إلى طبيعة تكوين مراكز الأبحاث وخزانات التفكير:

1_تفعيل العمل والجهد الجماعي لإنتاج علمي أكاديمي خال من التزييف، والتبعية السياسية أو الفكرية .

2_العمل على نهضة الأمة فكريا وسياسيا واقتصاديا وعلميا .

3_تقديم التقييمات والاستشارات العلمية المنهجية لجهات الاختصاص .

4_اتاحة مراكز التفكير والدراسات للعلماء والمفكرين والباحثين وذوي الاختصاص لتفعيل دورهم، والاستفادة من مخزونهم الفكري والعلمي، من أجل واقع أفضل للأمة والانسانية جمعاء .

5_تقديم الخيارات والبدائل العاجلة متى ما تطلب ذلك .

6_تقويم البرامج الحكومية .

7_تحليل الواقع الحالي في الدولة، وتقديم دراسات وتحليلات معمقة لواقع أفضل في كافة المشكلات والقضايا الساخنة التي تواجه السياسة العامة .

8_وضع تقييمات وتحليلات وخيارات وحلول للكوارث والأزمات المتوقعة وغير المتوقعة .

9_تقديم دراسات علمية للتطوير والتحسين في التخصصات المختلفة .

10_الاستفادة من مخزون مراكز الفكر العالمية ومشاركتها ومتابعتها في احدث الدراسات والبحوث، من أجل القضاء على المهددات الأمنية أو الصحية أو المناخية وغير ذلك.

انضمام مراكز الفكر إلى الشبكات الدولية لمراكز الفكر مثل شبكة GDNالشبكة الكونية للتنمية، شبكة مراكز الفكر شرق الآسيوية ، فهي آلية للتبادل البحثي والأكاديمي ما بين مراكز الفكر، و ساحة لدبلوماسية المسار الثاني Second-Track Diplomacy بين الدول التي تمثلها مراكز الفكر ، فهذه الشبكات تسعى للتشبيك بين مراكز الفكر وحكوماتها وشركات القطاع الخاص. وتخلق ساحة

للتفاعل بين القطاعات الثلاثة. كما أنها ساحة لتبادل الخبرات والدروس المستفادة حول التكامل بين السياسات المحلية المختصة في التنمية وبدائل السياسات المطروحة من جانب تلك المراكز. كما أنها ساحة لتبادل المطبوعات والأبحاث والتحليلات المستقبلية، ودعم القدرات البحثية للخبراء بالدول خاصة النامية والانتقالية ووصلها بالقادة بمختلف أنحاء العالم. ومن ثم ستساعد صانع القرار بشكل غير مباشر في تنفيذ السياسة الخارجية للدولة . [7]

11_المساعدة في صنع القرار أو ترشيد صنع القرار.

12_تشجيع الباحثين والمفكرين معنويا وماديا مع إتاحة الفرص للراغبين في البحث والتأليف .

13_ترجمة الدراسات والمؤلفات التي تصدر عن المؤسسات والمراكز البحثية في الدول الأخرى.

14_استضافة الباحثين والمفكرين من كل الجنسيات، وعقد مؤتمرات ولقاءت علمية معهم، بغرض إثراء وتحسين مراكز التفكير والأبحاث .

إن طبيعة هذه المهام تعكس مدى وأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه مراكز الدراسات والأبحاث في التأثير على عملية اتخاذ القرار وعلى صناع القرار، وكذلك في رسم السياسات الخارجية للدولة، سواء كانت دولة متقدمة أو نامية. ذلك لأن هذه المراكز تسهم في تحقيق عدة أهداف منها: الكشف عن أولويات التنمية في المجتمع وما هي أسهل السبل وأسرعها لتحقيق هذه الأولويات من خلال استخدام الموارد المحلية، وتطوير البحث العلمي المحلي بما يتوافق مع احتياجات البيئة المحلية وتوظيف الموارد الذاتية، ودعم اتخاذ القرار وجعله أكثر عقلانية. [8]

المشاكل والمعوقات التي تتعرض لها مراكز الدراسات والأبحاث:

تواجه مراكز الدراسات والأبحاث وخزانات التفكير جملة من المعوقات والاشكاليات، تتمثل على سبيل المثال في:

1_عدم وجود حيز كافي من الحرية والديمقراطية ؛ يتيح للباحث الحصول على المعلومات والبيانات والاحصائيات بحرية، وعدم ملاحقة وتضييق أمني من السلطات.

2_لا يجد الباحثين الحرية في السفر خارج أو داخل البلاد والتحرك بحرية تامة، حسب مقتضيات وضرورات الأبحاث والدراسات والحقل المعرفي .

3_ نقص خبرة الباحثين، مما من شأنه ان تكون مخرجات الدراسات والتقارير والبحوث ضعيفة علميا وناقصة .

4_التحاق شخصيات غير مؤهلة علميا بهذه المراكز، بغرض ان تمثل غطاء سياسيا لصانع القرار في الدولة .

5_عدم إهتمام الدولة بتمويل مراكز الدراسات، مما يجعل بعض هذه المراكز تقع فريسة لجهات أجنبية، تقوم بتمويلها وسحب استقلالها، ونزع ارادتها وإدارتها، والمحصلة هي دراسات وبحوث غير نزيهة، وتفتقد المصداقية، وتخدم تلك الجهات الممولة وأجندتها الخفية والظاهرة .

6_نقص الامكانيات وضعف القدرات التسويقية للمنتوج المعرفي والنشر العلمي للدراسات الصادرة عن مراكز وخزانات التفكير .

7_هيمنة بعض الأفراد على خزانات التفكير ومراكز الأبحاث، مما من شأنه أن ينزع عنها استقلالية الدراسات، وان تنحرف إلى مسارات محددة مسبقا تبعا لنزعات الأفراد، وميولهم الفكري أو السياسي .

8_ارتباط مراكز الدراسات بالجهات الحكومية وعدم وجود استقلالية تامة في أهداف ودور مراكز الدراسات.

9_عدم الاهتمام بالباحثين والمفكرين على المستوى المادي، أو الاجتماعي، أو المعنوي، مما يؤدي في النهاية إلى عزوفهم عن اكمال دورهم الفكري والبحثي الرسالي، وربما إنحرافهم إلى جهات أخرى .

10_ضعف الإتصال التفاعلي مع مراكز الأبحاث والدراسات العالمية المختلفة .

11_عدم استقلالية مراكز التفكير، وهيمنة الدولة أو جماعات الضغط والمصالح عليها، وتحديد مساراتها واتجاهاتها البحثية والاستراتيجية .

خاتمة :

ختاما يعتبر الباحث أن دور مراكز وخزانات التفكير هو من أخطر وأهم الأدوار في المجتمع، ويمتد تأثيرها ربما لأجيال ؛ بما تقدمه من دراسات

علمية معمقة في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والفكرية والأمنية وغيرها من المجالات الحياتية، وهي بذلك تعطي نموذجا لحياة وجودة أفضل مما هو في الواقع الراهن.

يمكن وصف الباحثين والمفكرين والعلماء والخبراء في مراكز وخزانات التفكير بالجيش الثاني للدولة؛ الذي يعمل ليس في أوقات الحرب والأزمات فقط، بل إن اعمالهم الفكرية والبحثية والعلمية لتمتد في أوقات الحرب والسلم سواء بسواء، وهم مميزون بذلك عن غيرهم من البشر، لأن أدمغتهم وعقولهم تظل في تفكير دائم، متصل، والقلق والبحث المستديم يسيطر عليهم دائماً، حتى تصل تلك الأدمغة والعقول المجهدة، إلى نتائج وحقائق وخلاصات، فيها سعادة البشرية واستقرارها وأمنها.

وفي أوقات الأمراض والجوائح الكونية، مثل جائحة كورونا الأخيرة التي كانت تفتك بالبشر في أوقات قليلة

وفي عدة رقاع مختلفة من كوكب الأرض، فإن مراكز التفكير أو الجيش الثاني، كانت ترصد له ميزانيات ضخمة حتى يستحضر لقاحا فعالا للقضاء والسيطرة على تلك الجائحة الكونية، لذا فإن التمويل المادي لمراكز الدراسات والبحوث العلمية والفكرية والسياسية ينبغي أن يكون متصلا من الجهات الحكومية والمنظمات ذات الصلة، في كل الأوقات.

ان استقلالية مراكز وخزانات التفكير ، وابتعادها الكامل عن أي قيود وضغوط، وفرض توجهات معينة من أي جهات سيادية أو سلطات، هو مطلب ينبغي توافره وتحققه، حتى تتوفر الثقة الكاملة في انتاجها العلمي والمعرفي.

المصادر:

[1]_ محسن محمد صالح، قراءة في التصنيف العالمي لمراكز التفكير، موقع الجزيرة نت، 26 فبراير/شباط2015 ،(تاريخ الدخول: 28 مايو /أيار https://tinyurl.com/4eup3yc3:(2024

[2]_ نسيب شمس : أدوار مراكز التفكير ومهامها ، مقال منشور في موقع fikr.com\article

[3]_ مركز المحترفون الدولي للدراسات والأبحاث : دور مراكز الدراسات والأبحاث الاستراتيجية في إدارة الدولة، دراسة منشورة عبر موقع Projocenter.com\details.aspx بتاريخ 2 مارس 2017.

[4]_ ضحى محمد مزيد، دور مراكز الفكر في الربط بين الحاضر والمستقبل، المركز العربي للبحوث والدراسات ، 23 مايو/أيار 2020 ،(تاريخ الدخول: 28 مايو /أيار https://tinyurl.com/mt7ukx6d:(2024

[5]_ ضحى محمد مزيد ، المصدر السابق.

[6]_ هبة جمال الدين، اعادة بناء العلاقة بين مراكز الفكر ودوائر صنع السياسات في مصر، المركز الديمقراطي العربي ، 26 يوليو/تموز 2016 ،(تاريخ الدخول: 28 مايو /أيار 2024): https://tinyurl.com/mv9h7dcz

[7]_ هبة جمال الدين، المصدر السابق.

[8]_ محمد أيمن سيف الدين، تأثير الفكر والمراكز البحثية في صناعة السياسة الخارجية للدولة (دراسة حالة روسيا البوتينية)، موقع مقاربات للتنمية السياسية ،(تاريخ الدخول: 28 مايو /أيار 2024): https://tinyurl.com/mv9h7dcz

اسود وليسوا ذئابا منفردة

اعتذر بداية للقارئ الكريم عن التأخر في كتابة هذا المقال الذي كنت قد بدأت فيه بالفعل، إلا أنه شغلتني شواغل عديدة، منها صدور كتابي الأول (قوة الدولة والقوة الإلهية) في نسخته الإلكترونية عن المركز الديمقراطي العربي، والله اسأل أن ينفع به، وان يثيب القائمين على ترتيبه وتنسيقه ونشره خير الجزاء.

يوم الجمعة 27 يناير/ كانون الثاني 2023 الماضي قام شاب فلسطيني بإطلاق النار في كنيس داخل مستوطنة "النبي يعقوب" في القدس المحتلة، ووضع نهاية سبعة من الإسرائيليين، فيما تم وصفه بهجوم الذئب المنفرد، أو

عمليات(المخربون) في وصف وسائط الإعلام الإسرائيلية!

الذئب المنفرد يعرف بأنه الفرد الذي يقوم بأعمال عنف في دعم جماعة ما، أو حركة أو أيديولوجيا معينة، ولكن يفعل ذلك منفردا، خارجا عن نسق القيادة ودون مساعدة مادية من أي مجموعة. أو هم أفراد يقومون بعمليات هجومية ضد الآخرين، بطريقة منفردة وغير متوقعة وبوسائل بسيطة، وتحركهم في هذا دوافع وخلفيات إما عقائدية، أو اجتماعية، أو نفسية، أو مرضية من غير أن تربطهم علاقة واضحة بتنظيم ما أو جهة ما.

الخبراء في أجهزة الأمن يرون أن الذئاب المنفردة هم الأفراد الذين ينفذون عمليات قتل بشكل انفرادي دون وجود جهة تنظيمية تضع لهم الخطط والتوجيهات، أو يتحركون بتأثير من دعاية تنظيم ما ولكنهم ليس لديهم تكليف مباشر بهذه المهمة من جهة

القيادة، وغالبا ما يكون هؤلاء أفرادا عاديين لا يثيرون ريبة أو شبهة في حركاتهم وسلوكهم.

ولأن العمليات الهجومية في فلسطين المحتلة يقوم بها أفراد عاديون، محركاتهم ودوافعهم وتوجهاتهم عقائدية وقومية ضد الطرف الآخر في الصراع العربي _الإسرائيلي، فان تسميتهم ذئابا منفردة فيما أتصور ، فيه نوع من الإجحاف والتنقيص، لأن حقيقة ما يقومون به هو عمل بطولي وفدائي لا شك فيه أو ريب، فهم لذلك أبطال واسود وليسوا ذئابا منفردة، مجرد التسمية تعطي شعورا بالدونية لهؤلاء الأفراد بأنهم في نهاية الأمر ذئابا، مهما كان حجم العمل الذي قاموا به، صحيح انه ربما تصح التسمية في الجهات التنظيمية الإرهابية أو (المخربون) إلا أنها لا تصح عند أبطال المقاومة في فلسطين المحتلة.

مع هذا ربما تتزايد العمليات الهجومية في تقديري الأيام المقبلة لعدة أسباب منها:

1_الشعور المتزايد بالظلم لدى هذا الجيل في وعيه الجمعي، هو من أول الأسباب التي تجعله لا يتردد في المقاومة بأي وسيلة متاحة لديه في محاولة دفع هذا الظلم، وهو المتمثل في سرقة فلسطين العربية والإسلامية من المحتل الغاشم، الذي يمارس عليه أبشع أنواع الظلم والقتل والإبادة، وتطبيق نظام الفصل العنصري، وبناء المستوطنات وهدم البيوت وحرقها، والسجن والاعتقالات، وقتل الشيوخ والنساء والأطفال، ليس في ظل صمت مطبق وتام من المجتمع الدولي، بل في وجود تبرير يقدم لكل هذه الفظائع من الفاعلين الدوليين!

2_تزايد انتهاك المقدسات الإسلامية من المستوطنين الإسرائيليين ومن سلطات الاحتلال، خاصة بعد تشكيل الحكومة

الحالية برئاسة بنيامين نتنياهو، التي توصف بالأكثر تطرفا في تاريخ الدولة العبرية، والتي تضم إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، وهذا من شأنه ليس فقط تكوين الرغبة في عمل هجومي منفرد من الجيل الناشئ ضد الإسرائيليين، لكن تكوين هذه الرغبة العقائدية والقومية لدى الكل، وهو ما من شأنه أن يجعل منهم عبارة عن قنابل موقوتة ربما تنفجر في أي وقت وفي أي مكان.

3_ تعامل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة باستهانة واستهتار مع السلطة الفلسطينية، المتمثل في خرق الاتفاقيات والأعراف والمعاهدات الدولية، بل محاولاتها الكثيرة لتطويع القوانين الدولية بما يضمن سلامتها وبقاءها، في ظل وجود تطابق تام مع حليفهم الأول الولايات المتحدة، التي تقدم الذريعة المتاحة لهم دائماً وهي حق الدفاع عن النفس.

4_ تطبيق نظام الابارتايد (الفصل العنصري) مع الفلسطينيين هو من أقسى وأفظع أنواع المعاملات التي يتعرض لها الفلسطينيين.

5_سعي إسرائيل والولايات المتحدة في إدخال بعض الدول العربية في مظلة التطبيع، الهدف منه هو تضييع القضية الفلسطينية ومحوها من الذاكرة العربية، ومن ثم تولد شعور عام لدى هذا الجيل بأنه لا ينبغي التعويل على دول المنطقة العربية بعد أن دخلت بعضها في عمليات التطبيع بالفعل.

ولأن السيطرة على العمليات الهجومية التي تقوم بها عناصر منفردة وإحباطها اصعب بكثير من إحباط العمليات التي تقوم بها الجماعات أو المنظمات الإرهابية، لاعتماد الدولة على تفعيل مفهوم الأمن الإستباقي القائم علي المعلوماتية المستمرة والمتواصلة، والتحليل المستمر للعلاقات البينية داخل تلك التنظيمات، والعلاقات

البينية الخارجية بين التنظيمات وبعضها البعض، والذي له محصلة جيدة في إجهاض العمليات الهجومية قبل وقوعها، فان ذلك من شأنه أن يجعل الصراع الذي دوافعه ومحركاته عقائدية وقومية مثل الصراع العربي _الإسرائيلي من اصعب أنواع الصراعات، والذي يتعامل فيه الطرف الإسرائيلي بكل جبروت وغشم، وتعتبر بذلك العمليات المنفردة هي رسالة للطرف الآخر أن تراكم الظلم والقهر والاستبداد، يحول كل الأفراد إلى قنابل موقوته تنتظر الانفجار في أي لحظة.

في مقال للكاتبين "دافيد جارتنستاين- روس" وهو باحث بارز في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات الأمريكية، وباحث متخصص في الجماعات الإرهابية، و" ناثانيل بار" مدير الأبحاث لدى مركز Valens Global للدراسات والأبحاث فيما يخص الجماعات السلفية المتطرفة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، نشرته مجلة" فورين

أفيرز" ذكر المقال أن المراقبين يخطئون عندما يصنفون الهجمات أنها عمليات ذئب منفرد بصورة قطعيّة، والتي يتبين فيما بعد ارتباط فاعلها بخلايا أو شبكات أكثر انتشارًا. غالبًا ما تتواصل الذئاب المنفردة مع مسلحين آخرين، مستخدمين أساليب تشفير صعبة الفك في الكثير من الأحيان. لذلك من الخطر التسرع في تصنيف أشخاص بأنهم منفصلون عن الآخرين؛ لأن ذلك يغفل دور الشبكات الإرهابية التي تُسهِّل تلك الهجمات وتشجعها.

قد يكون الكلام مقبولا في الحديث عن التنظيمات الإرهابية لكن غير مقبول في حالة الصراع العربي _الإسرائيلي لانتفاء القيادة التنظيمية الموجهة عدا قيادة الإيمان والتوحيد والعقيدة الإسلامية، ولان حكومة نتنياهو تعلن بوضوح عن رغبتها في تهويد كافة الأراضي الفلسطينية وليس من المستبعد إقدامها المحتمل على هدم المسجد الأقصى.

الحرب الهجين وصمت المدافع: ما زال الوقت مبكرا

في الوقت الذي يتحدث فيه الفاعلين بشكل متزايد ومتكرر عن الحاجة إلى مواصلة الأعمال القتالية في أوكرانيا، وإمداد المقاتلين بكميات وافرة من الأسلحة والآليات والذخائر، وتدريبهم على أراضيها، فإن روسيا كانت تؤكد أن تدفق هذه الأسلحة والآليات والمدرعات لن يؤدي إلا إلى زيادة أمد الصراع، ومحضت النصح بأن ينشغلوا بمستقبلهم، والا فإن هذا من شأنه يتسبب في مزيد من الخسائر الفظيعة في أوكرانيا، وان هذه الأسلحة والآليات التي يتم نقلها، ستمثل هدفا مشروعا لنيران الجيش الروسي، في حروب هجينة تقتضي استعمال الوسائل التقليدية وغير التقليدية في

القتال، بغرض التكيف مع الأهداف المطلوب تحقيقها. [1]

ولأن أوكرانيا تعتبر منطقة ذات أهمية جيو سياسة للولايات المتحدة تتمثل في محاصرة النفوذ الروسي السياسي والعسكري والاقتصادي، فقد قررت منذ بداية الحرب لمحاصرة ذلك النفوذ الذي يسعى حثيثا إلى استعادة أمجاد الهيمنة الروسية، إلى أن تستعين بحلفائها في المنطقة، في تقديم كل ما يستطيعون من وسائل الدعم العسكري والسياسي لأوكرانيا.

لذلك الاعتبار، أعلنت القيادة الأمريكية عن قرارها الأخير تزويد أوكرانيا بدبابات أبرامز، التي لن يتم توفيرها من مخزون وزارة الدفاع بل سيتم التعاقد بشأنها، بينما أعلنت المانيا من ناحية ثانية، أن المستشار الألماني " شولتز" وافق على تزويد أوكرانيا بدبابات ليوبارد 2 ،وذهب وزير الدفاع الألماني "بستوريوس" إلى

ابعد من ذلك، فقد قال إن بإمكان الدول التي تمتلك دبابات ليوبارد الألمانية أن تزود أوكرانيا بها، وأن بلاده لن تعترض على ذلك، وأعلنت فرنسا من ناحية ثالثة عن نيتها تسليم أوكرانيا مدافع "سيزار" جديدة، ولا تستبعد إمكانية إرسال دبابات لوكليرك، إلا أنها أشارت إلى عدة معايير ينبغي أن توضع في الاعتبار، منها ألا يضعف ذلك قدرات الناتو الدفاعية، وأن تقدم الدبابات دعما حقيقيا وفعالا للقوات الأوكرانية، ومن ناحية رابعة فقد توقع المسؤولين العسكريين البريطانيين أن دبابات "تشالنجر 2" ربما تصل في نهاية شهر مارس/آذار إلى أوكرانيا.

دبابات ليوبارد 2 الألمانية المزمع تسليمها للقوات الأوكرانية، دخلت الخدمة أول مرة عام 1979، وتعد من بين أفضل الدبابات في العالم وتصفها الشركة المصنعة لها بأنها جمعت مزيجا مثاليا من الحماية والتنقل، والقدرة على المناورة والقوة النارية،

وتستخدم الدبابة الألمانية في 21 بلدا آخر، معظمها أعضاء في حلف الناتو، وتعد النسخة "ليوبارد 2 إيه4" (Leopard 2A4) الأكثر تصنيعا، وإضافة إلى قدرتها القتالية العالية فهي تستطيع عبور الأنهار وتستمر في القتال.

أما ابرامز الأمريكية فقد دخلت الخدمة عام 1980 وتستخدم في تسعة دول أخرى، وتعتبر النسخة الأحدث منها هي "إم1إيه2 إس إي بي" (M1A2 SEP) وتزن دبابة إم1 أبرامز نحو 63 طنا، وهي مسلحة بمدفع رئيسي من عيار 120 ملم، ورشاشين عيار 7.62مم، وزودت الأبرامز بمحرك توربيني بقوة 1,500 حصان، ومن مميزات هذه الدبابة هو درعها الثقيل واستخدامها لمحرك توربين غازي والاعتماد على الدرع المركب المتطور، وخزانة ذخيرة منفصلة في غرفة الإطلاق لسلامة أمن الطاقم، وتعتبر أم 1 أبرامز من أثقل الدبابات القتالية الأساسية في الخدمة حاليا.

ومن مميزاتها أيضا القدرة على الاختفاء أثناء التحرك، فلها تجهيزات لإنتاج الدخان ذاتيا من طريق دورة الوقود، وقاذفان على جانبي البرج، لإنتاج ستارة دخان تخفي التحركات وتمتلك الدبابة جهاز لإطفاء الحريق يعمل بغاز الهالون والنتروجين المضغوط، بزمن رد فعل 0.002 ثانية، وإمكانية إطفاء الحريق في خلال 0.1 ثانية؛ ويمكن تشغيله آليا أو يدويا، كما تمتلك جهاز لضبط درجة الحرارة.

ورغم أن دبابات ليوبارد الألمانية وابرامز الأمريكية تعطي درجة عالية من الأمان والقدرة على توجيه ضربات ساحقة بعيدة المدى بحيث لن تستطيع الدبابات الروسية الاقتراب منها، ولها القدرة على الصمود في أماكن إطلاق النار وقدرة على رصد أهداف العدو وإن كانت بعيدة، ما يمنح المشاة من الجنود فرصة للتقدم، إلا أن تقديرات القيادة الأوكرانية تؤكد الحاجة إلى 300 دبابة للتصدي للهجوم الروسي، مع هذا هناك

عدة معوقات تقلل من اعتماد الجيش الأوكراني الكامل على هذه الآليات منها:

1 _تسليم الدبابات لن يكون على الفور، لأن تدريب الجنود الأوكرانيين عليها سيستغرق وقتا طويلا.

2_تدفق العشرات من الدبابات الأمريكية والألمانية سوف يساعد الجيش الأوكراني على التحرك بشكل أسرع، ولكنها تبقى غير كافية دون غطاء جوي قوي.

3_الوقود المستعمل في دبابات ابرامز هو وقود الطائرات عكس ليوبارد التي تعمل بالديزل، وعدم ملاءمة ابرامز لطبيعة المعارك حاليا.

4_ سيقوم الجيش الأميركي بتدريب فرق الصيانة للتعامل مع أي أعطال أو مشاكل تقنية تعترض هذه الدبابات، حتى لا تحدث أخطاء تكتيكية تؤدي إلى تدميرها أو إعطابها وتوفير قطع الغيار التي ستحتاجها الدبابات وكل هذا يحتاج لوقت.

5_الصيانة المكلفة لهذه الآليات باهظة الثمن.

مع ذلك فإن الأرجح ألا يقل تأثير الدبابات الأمريكية والألمانية والبريطانية في ساحة الحرب عن الأثر الذي أحدثته مسيرات "بيرقدار" التركية في بداية الحرب، ولاحقا مدافع "هاوتزر" وأنظمة "هيمارس" الصاروخية؛ صحيح أن الدبابات يمكن أن تغير من موازين القوى على الأرض وترجح كفة الانتصار الحاسم في وجود غطاء من سلاح الجو، إلا أن كل ذلك مرهون بوجود كميات كبيرة منها وحصول مقاتليها على تدريبات كافية ووافرة في استخدامها.

وفي رأينا الخاص انه ما زال الوقت مبكرا للحديث عن صمت المدافع في الحرب الهجين الأوكرانية لعدة أسباب يمكن أن نسرد منها:

1_أن روسيا تنازل جيشا تقف خلفه الولايات المتحدة والدول الغربية من منطق أسباب وجودية تتعلق بماضيها

وتاريخها وأمجادها ونفوذها، وهو ما يضيق من فرص الحل السياسي، وتدير حربا تختلط فيها الوسائل التقليدية وغير التقليدية مثل استخدامها للمسيرات في تدمير البني التحتية، ومراكز الطاقة في أوكرانيا.

2_تعتبر الولايات المتحدة رابحا للحرب في كل الأحوال سواء خسرتها على الأرض أم كانت منتصرة، لأنها تستخدم القوة الناعمة في إدارة الحرب بما يضمن لها انهاك الدب الروسي لأقصي الحدود، ولأنها لم ترسل جنديا أمريكيا واحدا طيلة عشرة اشهر كاملة، فضلا عن المكاسب الاقتصادية التي تجنيها في صناعة الأسلحة في وقت يعاني فيه حلفائها الأوربيين من نقص السلاح والذخائر.

3_صمود الروس على مدى عشرة أشهر في مواجهة أوكرانيا وحلفائها من الدول الغربية والولايات المتحدة من غير استعانة بحلفائهم مثل الصين وكوريا

الشمالية، أو الحلفاء المحتملين مثل ايران، من شأنه أن يجعل مستقبل الأزمة الأوكرانية مفتوح النهاية وقابل للعديد من الفرضيات والاحتمالات.

4_احتمال هزيمة روسيا على الأرض في الحرب التقليدية لا يعني بالضرورة الهزيمة الكاملة، وربما يعجل من لجوئها إلى الزر النووي كما تنبأ "رمضان قاديروف" .

الهوامش:

1_Pyung-Kyun, Woo," The Russian hybrid war in the Ukraine crisis: Some characteristics and implications ", The Korean Journal of Defense analysis, Vol 27,No 3,South Korea:(Korea Institute for defense analysis), September, 2015,p 384

هل تخرج الأوضاع عن السيطرة في الداخل الإسرائيلي؟ ويبدأ موسم الهجرة إلى الغرب؟

لم تكد دولة الاحتلال الفاشية تنتهي من حدث عصف بأركانها قاطبة، وهو المتمثل في الإصلاحات القضائيّة التي كان ينادي بها رئيس الحكومة الائتلافية نتنياهو، حتى فاجأ الأخير ليس الفلسطينيين وحدهم لكن العالم قاطبة، باقتحام باحات مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مشاهد أججت مشاعر كل المسلمين في العالم.

فبعد انتصاف ليل الثلاثاء الماضي4 إبريل/نيسان2023 اقتحمت قوات الاحتلال باحات المسجد الأقصى المبارك قبل

الانتهاء من صلاة التراويح، وأطلقت على المصلين الرصاص المطاطي وقنابل الصوت والغاز المسيل للدموع، وقامت شرطة الاحتلال بإطلاق مسيّرة فوق المسجد الأقصى، لرصد ومتابعة مجريات الأوضاع في باحاته، ثم انتهى الأمر بانسحابها من باحات المسجد.

وفي خطوة عدوانية أخرى غير مسبوقة، دعت "منظمات الهيكل"، أنصارها إلى إحضار قرابينهم والتجمع مساء الأربعاء 14 رمضان 5 إبريل/نيسان 2023 عند أبواب الأقصى، عشية ما يسمى "عيد الفصح اليهودي" الذي يبدأ في السادس من أبريل/نيسان الجاري، ويستمر لثمانية أيام(تحاول "جماعات الهيكل" إدخال و"ذبح القرابين" داخل الأقصى، مستغلة نفوذها الحكومي، عبر وجود 16 وزيرا في حكومة نتنياهو يأتمرون بمقولاتها، بعضهم من أعضائها المباشرين؛ مثل إيتمار بن غفير وزير الأمن القومي الإسرائيلي).

ولأن نتنياهو كان يتوهم صرف الأنظار باقتحام باحات الأقصى، عن التصدع الكبير الذي ابتدأ يضرب الدولة العبرية، والتي يحاول إخراجها من النمط العلماني القديم، إلى دولة يمينية توراتية متطرفة، فقد وقع في شر أعماله، إذ دخل على الخط فصائل المقاومة الإسلامية ووحد العالم الإسلامي على كلمة سواء، ولا احد يعلم ماذا تخبئ له الأيام القادمات.

ولأن إسرائيل تعتبر أن الوصول إلى تطبيق يهودية الدولة هو الحل الأمثل، للقضاء على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى فلسطين،واجهاض حل الدولتين، وتبديد الأساس القانوني لهذا الحق، فإنه بهذا الاعتبار شرعت في تمديد المستوطنات الإسرائيلية، وممارسة الفصل العنصري ضد الفلسطينيين، وتدنيس مقدسات المسلمين، وبات من ثم مصطلح يهودية الدولة هو الشعار الذي ينادي به

اليمين المتطرف لتوحيد وخلق دولة توراتية تجمع شتات اليهود في العالم.

لقد كان صعود بنيامين نتنياهو إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية علامة فاصلة جديدة نحو التأكيد على تحويل شرط الاعتراف بيهودية إسرائيل ليكون شرطا أساسيا في أي اتفاق سلام مُستقبلي، وكما لا يحمل موقف نتنياهو هذا جديدا فجميع تصريحاته قبل وصوله إلى سدة الحكم أكدت ذلك، فقد سبق أن أعلن وهو في صفوف المُعارضة ضرورة طرح الاعتراف بيهودية الدولة الإسرائيلية شرطا من أجل استئناف المفاوضات مع الجانب الفلسطيني. **[1]**

مع هذا في تقديري المقاومة الآن تمتلك توقيتا استراتيجيا مناسبا ربما لم يتوفر لها من قبل، وتمثل المقاومة بهذا التوقيت الجديد رهانا حقيقيا في تبديد حلم وشعار الدولة التوراتية من جانب، ونصرة الأقصى والقضية الفلسطينية من جانب أخر، لعدة أسباب

أهمها: أن الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الأول والأقوى لإسرائيل في المنطقة، هي الآن في اضعف صورها، وقد شاخت بما يستحيل معه تقديم المساعدات لإسرائيل في ظل استنزافها عسكريا بصورة غير مباشرة في الحرب الأوكرانية الروسية، وفي ظل تحقيق سيطرة على الأرض من قبل الروس من ناحية ثانية، كما أنها تتوجس كثيرا من صعود الصين، القطب الجديد والقوى الصاعدة في النظام العالمي.

رئيس الموساد السابق اطلق تحذيرات غير مسبوقة، بشأن مستقبل دولة الاحتلال، وقال: إن إسرائيل متورطة في كارثة بسبب الأزمة الداخلية المتصاعدة، وأعرب عن مخاوفه من حالة فوضى خطيرة ناجمة عن أزمة دستورية، ووصف بتسلئيل سموتريتش وبن غفير بأنهما يشكلان العنصر الأخطر في هذا الوضع، فهما يدفعان نحو تأسيس دولة شريعة، ودولة فصل عنصري أبرتهايد، وتغيير الجهاز القضائي هو وسيلة تمكنهما من مأربهما.

ليس ذلك وحسب بل ذكر موقع "ميدل إيست آي" إن الاحتجاجات داخل إسرائيل بسبب التعديلات التي يريد بنيامين نتنياهو تطبيقها، قد دفعت بنسبة كبيرة من المستوطنين للتفكير في الهجرة للخارج: على مدى الأسابيع الأخيرة، صارت أعداد متزايدة من الإسرائيليين تفكر بالانتقال للعيش في مكان آخر وبدأ كثيرون منهم بالفعل في إعداد العدة لذلك، لن يكون الانتقال إلى حي مختلف أو مدينة أخرى أو ضاحية مجاورة، ولكن إلى مكان خارج إسرائيل بأسرها.

الداخل الإسرائيلي في هذا التوقيت بعد صعود الحكومة الائتلافية بقيادة نتنياهو الذي تمكن من تكوين الحكومة في نوفمبر الماضي، إنما يستقبل حكومة جديدة تحمل معها عوامل التفكيك والتدمير الذاتي في بنيتها الداخلية، لأنها تضم عناصر فاشية ومتطرفة ومتهمة بالفساد، مثل أرييه درعي رئيس حركة "شاس"، وأخرى متهمة بممارسة الإرهاب والعنصرية، مثل إيتمار بن غفير

وبتسلئيل سموتريتش وهي تركيبة تعتبر من اقسى أنواع اليمين تطرفا ومشغولة إلى أذنيها بتحقيق المعادلة الجديدة، وهي فرض الدولة التوراتية المتطرفة، بعد محاولتها في الأيام الماضية تسويغ الإصلاحات القضائية، والتي في نهايتها ما هي إلا محاولة من محاولات السرقة المتمثلة في إقصاء السلطة القضائية وانفراد السلطة التنفيذية بمقاليد الحكم والسيطرة، بما يمكن ذلك نتنيا هو من فرض معادلة الدولة العبرية الجديدة المتطرفة، وتحقيق بروتكولات صهيون وهرتزل، الرامية إلى إقامة الدولة العبرية من الفرات إلى النيل. لهذا فان هذه المعادلة في تقديري، تعتبر علامة من علامات التفكك والانهيار الوشيك لدولة الاحتلال، وفي ظل وجودة معارضة قوية واحتجاجات في الداخل الإسرائيلي لهذه الإصلاحات المزعومة.

في مقدمته يعتبر" ابن خلدون"**[2]** أن الدولة لها عمر مثلها مثل الكائن الحي تماما، يتراوح بين المائة إلى المائة

وعشرين، وان الدولة هي كائن حي تولد وتنمو ثم تشيخ وتضعف وتنتهي.

الهوامش:

[1] _محمد شوقي عبد العال ، الدولة الفلسطينية ، دراسة سياسية قانونية في ضوء أحكام القانون الدولي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1992

[2]_عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق أبو صهيب الكرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (ط. بيت الأفكار)

هل تبدأ الحرب الشاملة على إيران حقا؟

في الأيام القليلة الماضية دعا البرلمان الأوروبي إلى تصنيف الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية، واتهمه بقمع المتظاهرين في إيران، وإمداد روسيا بطائرات مسيرة (المسيرات تساعد وحدات الجيش على تحديد أماكن العدو بدقة، وتحديد مواقع المدفعية، وقادرة على اختراق الدفاعات الجوية بفعالية عند إطلاقها في مجموعات، ولها المقدرة على التصوير والبث المباشر لتجمعات العدو، وتستخدم للضرورة عند حدوث نقص غير متوقع في الأسلحة الدقيقة بعيدة المدى)

وطلب البرلمان من الاتحاد الأوروبي إدراج الحرس الثوري الإيراني على القائمة السوداء لـ "المنظمات الإرهابية"، بما يشمل فيلق القدس الموكل بالعمليات الخارجية، وقوات التعبئة الباسيج.

عضو البرلمان الألماني " هانا نيومان" دعت إلى معاملة الحرس الثوري الإيراني معاملة الإرهابيين: كيف يمكننا التحدث عن إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة، إذا كان الشيء الوحيد الذي يظهر هو الاعتراف الدولي الذي يحتاجه النظام بشكل عاجل؟ لقد انتهى وقت السياسة الغامضة.. طالما استمرت الاحتجاجات الوحشية، فلا ينبغي أن نتفاوض طالما أن الحرس الثوري الإيراني يرهب شعبه والمنطقة، فيجب أن نعاملهم كإرهابيين.

وفي مقابلة الطلب البرلماني الأوروبي باعتبار الحرس الثوري وقوات الباسيج منظمات إرهابية (الباسيج

مليشيا إيرانية عقائدية مسلحة ؛ تضم ملايين المتطوعين وممولة مباشرة من الدولة، وتعتبر من أكثر الكيانات تأثيرا في الحياة السياسية والأمنية والمجتمعية في ايران، كما تعد أداة عسكرية لحماية مصالح النظام السياسية داخليا وخارجيا) في مقابلة ذلك وكرد فعل سريع وضع نواب البرلمان الإيراني مسودة قرار، وضعوا فيها اللمسات الأخيرة على خطة عاجلة لتصنيف القوات المسلحة للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي منظمات إرهابية، في حال تبني تلك الدول قرار البرلمان الأوروبي.

وفي ذات الأحداث المتلاحقة حذر وزير الخارجية القطري الأسبق "حمد بن جاسم" على منصة التواصل الاجتماعي، من عمل عسكري إسرائيلي أمريكي محتمل قد يهز الأمن والاستقرار في مِنطقة الخليج، وسيترتب عليه عواقب اقتصادية وسياسية واجتماعية، لأن الغرب بقيادة الولايات المتحدة لم يتوصل حتى الآن إلى اتفاق يعيد الاتفاق النووي مع إيران إلى

الحياة: إذا لم تتوصل الأطراف إلى اتفاق نووي جديد مع إيران، وزودت الولايات المتحدة إسرائيل بما تحتاجه من سلاح سيكون هناك، لا سمح الله عمل عسكري قد يهز الأمن والاستقرار في منطقتنا وستكون له عواقب اقتصادية وسياسية واجتماعية وخيمة.

يمكن ربط هذه الأحداث المتلاحقة التي تسوغ إمكانية حدوث عمل عسكري إسرائيلي وشيك على إيران، يكون محصلته تدمير البرنامج النووي الإيراني، وتحطيم مفاصل الدولة، وخراب كبير في المنطقة العربية، بعدة سياقات يمكن إجمالها على النحو الاتي:

أولا: تمكنت إيران من زيادة قدراتها العسكرية والنووية في كل تلك الفترة، منذ توقيعها على اتفاقية النووي 2015 ولاحقا بعد قرار إدارة "ترامب" الانسحاب منها، فقد تمكنت من مواصلة عمليات تخصيب اليورانيوم بنسب أعلى بكثير من تلك المنصوص عليها في اتفاق 2015

وتمكنت من زيادة إنتاجها ومخزونها من اليورانيوم المخصب بنسبة قد تصل إلى 60%، وهذا يفاقم من ناحية ثانية حالة الرعب والهستيريا لدى الطرف الإسرائيلي أكثر من أي طرف أخر.

ثانيا: انشغال روسيا في الحرب الأوكرانية، من شأنه أن يحيد هذا الحليف المحتمل من مساندة ايران فيما قد يلحق بها من الطرف الإسرائيلي، في ظل رغبة القادة الإيرانيين لتنفيذ سياسية الاتجاه شرقا، خاصة بعد حزمة العقوبات الغربية المفروضة على ايران وروسيا، وإلى توسيع التعاون بينهما ومجابهة الولايات المتحدة أو الشيطان الأكبر، بعد تعطل محاولات إحياء الاتفاق النووي الإيراني لخلق نوع من التوازن الاستراتيجي.

ثالثا: يعتبر هذا التوقيت توقيتا استراتيجيا مناسبا لبدء العملية العسكرية الإسرائيلية، في ظل وجود حالة الفوضى والمظاهرات التي تجتاح إيران

بعد حادثة مصرع" مهسا أميني" فالتوقيت في حالة تشتت الطرف الثاني وعدم تماسكه تماما لوجود الفوضى والقلاقل الداخلية، يعتبر توقيتا جيدا.

وقبل أن نسرد رأينا الخاص الذي يقلل من أهمية هذه السياقات فانه لابد أن نسجل بعض الملاحظات، التي تساعد على فهم الموقف المتسارع الذي دعا النواب الإيرانيين إلى مقارعة الأوربيين حجة بحجة، واعتبارا باعتبار.

أولا: تصريح الدولة العبرية بإطلاق عملية عسكرية واسعة ضد الطرف الإيراني وتدمير البرنامج النووي، يختلف عن المنهجية والاستراتيجية الإسرائيلية في العمليات العسكرية، إذ أنها تعتمد بشكل أساسي ورئيس على الضربات الاستباقية المباغتة والمفاجئة، ولا تعلن عن جاهزيتها واستعدادها العسكري للبدء في الأعمال العسكرية، كما أنها تعتمد أيضا على أساليب الاغتيالات والتصفية للعلماء والقادة.

ثانيا: تصاعد الاحتجاجات والخلافات السياسية داخل إسرائيل، وسط مخاوف من زيادة وتيرة الاحتجاجات وفي ظل الحديث والتهديد المتكرر بالنزول للشوارع وإعلان العصيان المدني والتجهيز للمواجهات، ضمن الحرب الشرسة التي تقودها المعارضة، واعتبارها أن الإصلاح القانوني الأخير الذي قام به "نتنياهو" ليس إصلاحا، ولكنه في حقيقة الأمر انقلاب يريد به السيطرة على السلطة القضائية.

صحيح أن قيام إسرائيل بهذه العملية هي فرضية محتملة، لكن هناك قرائن مرتبطة في تقديري ربما تضعف هذه الفرضية:

أولا: انشغال الولايات المتحدة الحليف الرئيس لإسرائيل في الحرب الروسية الأوكرانية، رغم وجود ضبابية في رؤية الولايات المتحدة تجاه الملف الأوكراني، ومع وجود معارضات من الداخل الأمريكي لهذه المشاركة، التي تعتبر أن المساعدات العسكرية التي تقدمها

خصما عليها، في وقت أوشكت فيه الذخائر الأوروبية والأمريكية على النفاذ جراء الحرب، من شأنه أن يجعل القرار الأمريكي معارضا لحرب جديدة لا أحد يعلم متى تنتهي.

ثانيا: تهديد الصين بغزو وشيك لـ تايوان من شأنه أن يجعل الولايات المتحدة أيضا تتراجع عن فتح جبهة جديدة مع إيران، في وجود تقارير تفيد عدم جاهزية صناعة الأسلحة الأمريكية للتهديد الصيني المحتمل.

وفي تقديري الخاص أن إسرائيل لن تقدم على بدء حرب شاملة على إيران، وان كل ما جرى بما فيه إعلان الاتحاد الأوروبي قوات الحرس الثوري والباسيج منظمات إرهابية، ولا يستبعد أن يكون اللوبي الإسرائيلي وراء تلك الخطوة، إنما يصب في خانة الضغط على إيران، لتقديم تنازلات كبيرة وتخفيض نشاطها النووي، والحد من تطوير صواريخها البالستية.

وفي ظل نظام عالمي يتسم بالفوضى واكتساب المصالح، فانه ربما تقدم إسرائيل على نشاط عسكري محدود، يتمثل في توجيه ضربات ضد أهداف استراتيجية محدودة في العمق الإيراني، لان احتمالات النجاح في تدمير البرنامج النووي الإيراني بضربة واحدة موجعة ليست مؤكدة، والأرجح أنه ربما تفرغ إسرائيل في الفترة القادمة من الانتهاء من مخطط تكون فيه ايران دولة باغية ومعتدية، بعد قيام الأخيرة بعملية عسكرية ضخمة أو ربما ينسب لها ذلك، مما يجعل الدول الفواعل برمتها تجمع على رمي ايران الدولة المارقة كما تصفها الولايات المتحدة، عن قوس واحدة!

في تفسير سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) (1)

بدأت سورة الفاتحة بقول الله جل وعز : (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهي آية كاملة في السورة. بدات بذكر الله سبحانه وتعالى. وبذكر الله تطمئن القلوب. قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: 28]، وفي هذا إشارة إلى

ملك الله جل وعز الذي تدين له كل الخلائق. له ملك السماوات والأرض. كل شئ يبدأ بإسمه. لتنعم فيه المخلوقات بالرحمة والهداية، والسعادة في الحياة الدنيوية والأخروية.

وذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية صفتين من صفاته العليا. (الرحمن الرحيم). فهو جل جلاله رحمن السموات والارض، رحيم بعباده.. إن من رحمته العظيمة التي يتراحم بها الخلق تشمل حتى الفرس ترفع حافرها عن ولدها. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.[1]

قال الامام الحافظ أبو جعفر الطبري في التفسير : إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمدا صلى الله عليه

وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه ، منه لجميع خلقه سنة يستنون بها ، وسبيلا يتبعونه عليها ، فبه افتتاح أوائل منطقهم ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم.[2]

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (2)

وقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (2)

يرجع المولى جل وعز الحمد كله له.الحمد والثناء .وفي سياق السورة ان يقدم العبد بين يدي مسألته الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى، ثم يفرغ الى طلب مسألته.

ومعنى (الْحَمْدُ لِلَّهِ) : الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برَأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في

تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلَّفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وَغذَاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدِّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النعيم المقيم. فلربِّنا الحمدُ على ذلك كله أولا وآخرًا. [3]

الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)

وقوله تعالى : (مالك يوم الدين) فيه إخبار عن حقيقة ثابتة ، وهي أنه سبحانه وتعالى هو مالك يوم الدين وهو يوم الحساب، يوم تقف الخلائق كلها ذليلة إلى الله سبحانه وتعالى حتى يقضي بينهم. كما قال تعالى:(يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [غافر: 16]

وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه

رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة ، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئا ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، كما قال : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) [النبأ : 38] وقال تعالى : (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) [طه : 108] ، وقال : (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) [هود : 105] .

والدين الجزاء والحساب ؛ كما قال تعالى : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) ، وقال : (أئنا لمدينون) أي مجزيون محاسبون ، وفي الحديث : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أي حاسب نفسه لنفسه ؛ كما قال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) .
[4]

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)

يخبر الله سبحانه وتعالى ان العبادة والاستعانة ينبغي ألا تصرف إلا له. وهذا هو جوهر التوحيد . فلا تصرف العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج ودعاء ونذر وغيرهم من العبادات إلا إلى الله وحده لا إلى ملك مقرب او نبي مرسل، كما أن طلب العون في أي شيء والغوث ، لا ينبغي ان يطلب من أحد إلا من الله سبحانه وتعالى فهو رب كل شيء ومليكه، والمعبود بحق وحده لا سواه.

العبادة في اللغة من الذلة ، يقال : طريق معبد ، وبعير معبد ، أي : مذلل ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف .وقدم المفعول وهو إياك ، وكرر ؛ للاهتمام والحصر ، أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة . والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين ، وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه

الكلمة : (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة : 5] فالأول تبرؤ من الشرك ، والثاني تبرؤ من الحول والقوة ، والتفويض إلى الله عز وجل . وهذا المعنى في غير آية من القرآن ، كما قال تعالى : (فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) [هود : 123] قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) [الملك : 29] رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) [المزمل : 9] ، وكذلك هذه الآية الكريمة : (إياك نعبد وإياك نستعين). [5]

وتأويل قوله (إيَّاكَ نعبُدُ) : لك اللهم نَخشعُ ونَذِلُّ ونستكينُ ، إقرارًا لك يا رَبنا بالرُّبوبية لا لغيرك. ومعنى قوله: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): وإياك رَبنا نستعين على عبادتنا إيّاك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها لا أحدًا سواك، إذْ كان من يكفُر بك يَستعين في أمورِه معبودَه الذي يعبُدُه من الأوثان دونَك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة.[6]

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)

والعبد في حياته كلها إلى مماته يسأل الله الهداية إلى الصراط والطريق المستقيم، يطلب ذلك من الله تعالى، لأنه هو وحده الهادي إلى الطريق والسبيل المستقيم .ويكرر العبد هذا الطلب في صلاته كلها. لأن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن.

إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بيْنَ إصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا علَى طَاعَتِكَ. [7]

وطلب الاهتداء إلى الصراط القويم المستقيم وتكراره في اليوم والليلة في الصلوات الخمس أمر لازم لابد منه، لأن الشيطان لا عمل له إلا إغواء البشر وجرفهم إلى الهاوية والضلال.قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : " بادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا

وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ". [8]

وقال صلى الله عليه وسلّم: " إنَّ أحدَكُم يُجمَعُ خلقُهُ في بَطنِ أمِّهِ في أربعينَ يومًا ثمَّ يَكونُ علقةً مثلَ ذلِكَ ، ثمَّ يَكونُ مضغةً مثلَ ذلِكَ ، ثمَّ يرسلُ اللَّهُ إليهِ الملَكَ فينفُخُ فيهِ الرُّوحَ ويؤمرُ بأربعٍ ، يَكْتبُ رزقَهُ وأجلَهُ وعملَهُ وشقيٌّ و سعيدٌ ، فوالَّذي لا إلَهَ غيرُهُ إنَّ أحدَكُم ليعملُ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ حتَّى ما يَكونُ بينَهُ وبينَها إلَّا ذراعٌ ثمَّ يسبِقُ علَيهِ الكتابُ فيُختَمُ لَهُ بعملِ أَهْلِ النَّارِ فيدخلُها ، وإنَّ أحدَكُم ليعملُ بعملِ أَهْلِ النَّارِ حتَّى ما يَكونَ بينَهُ وبينَها إلَّا ذراعٌ ثمَّ يسبِقُ علَيهِ الكتابُ فيُختَمُ لَهُ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ فيَدخلُها ". [9]

لما تقدم الثناء على المسئول ، تبارك وتعالى ، ناسب أن يعقب بالسؤال ؛ كما قال : فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل وهذا أكمل أحوال السائل ، أن يمدح مسئوله ، ثم يسأل

حاجته [وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله : (اهدنا] ، لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل ، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه ، كما قال موسى عليه السلام : (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) [القصص : 24] وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسئول ، كقول ذي النون : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [الأنبياء : 87]

والهداية هاهنا : الإرشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا اهدنا الصراط المستقيم فتضمن معنى ألهمنا ، أو وفقنا ، أو ارزقنا ، أو اعطنا ؛ (وهديناه النجدين) [البلد : 10] أي : بينا له الخير والشر ، وقد تعدى بإلى ، كقوله تعالى : (اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) [النحل : 121] (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) [الصافات : 23] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة ، وكذلك

قوله تعالى : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) [الشورى : 52] وقد تعدى باللام ، كقول أهل الجنة : (الحمد لله الذي هدانا لهذا) [الأعراف : 43] أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلا . وأما الصراط المستقيم ، فقال الإمام أبو جعفر بن جرير : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه.[10]

ومعنى قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، في هذا الموضع عندنا: وَفِّقْنا للثبات عليه. وإلهامه إياه ذلك، هو توفيقه له، كالذي قلنا في تأويله. ومعناه نظيرُ معنى قوله: (إياك نستعين)، في أنه مَسألةُ العبد ربَّه التوفيقَ للثبات على العمل بطاعته، وإصابة الحق والصواب فيما أمَره به ونهاه عنه، فيما يَستَقبِلُ من عُمُره، دون ما قد مضى من أعماله، وتقضَّى فيما سَلف من عُمُره . كما في قوله: (إياك نستعين)، مسألةٌ منه ربَّه المعونةَ على

أداء ما قد كلَّفه من طاعته، فيما بقي من عُمُره.

فكانَ معنى الكلام: اللهمّ إياك نعبدُ وحدَك لا شريك لك، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان، فأعِنَّا على عبادتك، ووفِّقنا لما وفَّقت له مَن أنعمتَ عليه من أنبيائك وأهل طاعتك، من السبيل والمنهاج.[11]

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

والعبد يسأل الله ان يهديه الطريق القويم والصراط المستقيم، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وان يباعد بينه وبين طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين حرفوا وبدلوا كلام الله، والضالين وهم النصارى.

اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم ، وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله ، وامتثال أوامره

وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب عليهم ، [وهم] الذين فسدت إرادتهم ، فعلموا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق ، وأكد الكلام ب " لا " ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين ، وهما طريقتا اليهود والنصارى .[12]

ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها : آمين ، ومعناها : اللهم استجب ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود ، والترمذي ، عن وائل بن حجر ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلمعليه وسلم قرأ : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال : آمين ، مد بها صوته ، ولأبي داود : رفع بها صوته ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وروي عن علي ، وابن مسعود وغيرهم .

وعن أبي هريرة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : آمين حتى

يسمع من يليه من الصف الأول ، رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وزاد : يرتج بها المسجد ، والدارقطني وقال : هذا إسناد حسن. [13]

المصادر:

[1]_ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،ج 10 ص. 446.

[2]_أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

[3]_ المصدر السابق.

[4]_أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، تفسير القرآن العظيم.

[5]_ المصدر السابق.

[6]_أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق.

[7]_ صحيح مسلم.

[8]_المصدر السابق.

[9]_الألباني، صحيح الترمذي.

[10]_أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المصدر السابق.

[11]_أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق.

[12]_ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المصدر السابق.

[13]_ المصدر السابق.

المؤسسة العسكرية الأمريكية: مقدمات ونتائج

في شهر أغسطس من العام الماضي أجرت الصين اختبارا لصاروخ تزيد سرعته على سرعة الصوت خمسة أضعاف وتمكن الصاروخ من الدوران حول العالم قبل أن يعود ليسقط في الصين. صحيفة (وول ستريت جورنال) ذكرت في افتتاحيتها عدد 4 نوفمبر 2022 أن تلك الصواريخ الصينية يمكنها ضرب أي مدينة أو منشأة في الولايات المتحدة، وقد يحدث ذلك من دون إمكانية رصدها.. وأضافت أن حقيقة كون الاختبار فاجأ الولايات المتحدة وتجاوز قدراتها العسكرية أمر سيئ، وأن خسارتها في سباق الصواريخ التي تفوق

سرعتها سرعة الصوت أمام الصين وروسيا أمر يستحق جلسات استماع في الكونجرس.

قائد القيادة الاستراتيجية الأميركية في تقييمه لميزان القوى بين الدولتين: الولايات المتحدة والصين، قال: بينما أقوم بتقييم مستوى الردع لدينا ضد الصين، فإن السفينة تغرق ببطء.

وقال القائد العسكري الأميركي: إن أزمة أوكرانيا التي نمر بها الآن مجرد إحماء والحرب الكبرى قادمة ولن يمر وقت طويل قبل أن نختبر بطرق لم نعرفها منذ زمن بعيد.

وفي ذات الصحيفة (وول ستريت جورنال) عدد الخميس الماضي 1 ديسمبر، ذكرت خبرا مفاده أن مسحا سنويا يقوم به معهد ريغان للوقوف على موقف الرأي العام من المؤسسة العسكرية أظهر أن 48% فقط من الأميركيين الذين شاركوا في الاستطلاع أعربوا عن ثقتهم في الجيش الأميركي، مقارنة بـ 70%عبروا عن ثقتهم فيه عام 2018.

كما أشارت إلى أن النتيجة التي توصل إليها معهد ريغان في تراجع الثقة في المؤسسة العسكرية تتفق تماما مع نتائج استطلاعات أخرى، مثل الاستطلاع الذي قام به مركز بيو للأبحاث (Pew Research) هذا العام، الذي كشف عن تراجع عدد الأميركيين الذين أعربوا عن ثقتهم في أن جيش بلادهم يعمل من أجل الصالح العام بنحو 14 نقطة منذ عام 2020.

المتأمل لهذه النسبة المتدنية في تراجع وانخفاض الثقة في المؤسسة العسكرية، يدرك لأول وهلة أن مياها كثيرة جرت في تلك الفترة الزمنية، أي ما بين عام 2018 إلى تاريخ الاستطلاع في هذا العام 2022 أو إلى تاريخ حديث قائد القيادة الاستراتيجية الأمريكية "تشارلز ريتشارد"، ويدرك أيضا أن تراجع ونقصان الثقة إنما بدأ في حقيقته بعد مرور عام على تولي "ترامب" مهام الرئاسة في يناير2017

وإذا تتبعنا أجزاء يسيرة في سنوات ولايته، لأنه يصعب الحصر، فإن أي مراقب بوسعه أن يقف على أحداث ارتكبها "ترامب" وصقوره، من شأنها أن تهز الثقة وتضعفها، فقد أحدث "ترامب" تغييرات واسعة في قيادات الجيش على سبيل المثال، كان لها مردودا عكسيا سيئا داخل المؤسسة، مثل تغيير وزير الدفاع نحو خمس مرات، والإطاحة بعدد كبير من الجنرالات السابقين، وفي الوقت ذاته تعيين الصقور المتقاعدين مثل "ماتيس" و"مكماستر" و "كيلي" و "مايكل فلين" الذي اختاره أول مستشار للأمن القومي خارج الخدمة، وهو الاختيار الذي خالف التقاليد المتبعة في اختيار المستشارين العسكريين، وقد تكون وقتها انطباع عام لدى جنرالات سابقين في المؤسسة العسكرية بأن الجيش أصبح مسيسا، إلى الحد الذي تجمعت فيه تساؤلات عديدة عن أثر هذا التغيير بحق قادته وتقاليده، في بنية الجيش وعقيدته وسياسته الدفاعية.

داخل الجيش كانت قضية المتحولين جنسيا واستيعابهم داخل الوحدات العسكرية شأن آخر، وهي القضية التي تعارضت فيها سياسة وتخطيط "ترامب" مع سلفه السابق "باراك اوباما".

ففي الوقت الذي أعلنت فيه إدارة "اوباما" أن المتحولين جنسيا يمكنهم الخدمة بشكل علني في الجيش الأمريكي، وفي الوقت الذي اندفع فيه الآلاف من المتحولين جنسيا إلى الالتحاق بفروع الجيش (قدرت مؤسسة "راند كوربريشن" أعدادهم بنحو أربعة ألف متحول فيما ذهب آخرون إلى أنهم عشرة الآف جندي) فأجاء "ترامب" الجميع بأن هؤلاء المتحولين جنسيا غير مرحب بهم في الجيش الأمريكي، وقال: بعد استشارة الجنرالات والخبراء العسكريين، فإن الحكومة الأمريكية لن تقبل أو تسمح بأي شكل من الأشكال بقبول المتحولين جنسيا في الجيش الأمريكي، وانطلق في تبريره لذلك القرار ليس من نواحي إنسانية أو أخلاقية، بل من نواحي مادية صرفة فقد

قال: يجب أن يركز جيشنا على النصر الحاسم، ولا يمكن إثقاله بالتكاليف الطبية الباهظة والإخلال بسير العمل اللذين يتسبب فيهما المتحولون جنسيا.

لكن لا أحد غيره كان مقتنعا بهذا التبرير، فالنفقات الصحية للمتحولين جنسيا من ناحية كانت تتراوح من 2.4 إلى 8.4 مليون دولار سنويا، في حين أن النفقات التي يدفعها الجيش الأمريكي للمنشطات الجنسية أعلى من ذلك بكثير، ومن ناحية ثانية فقد مثل ذلك القرار انزعاجا كبيرا في الأوساط الحقوقية الأمريكية، التي تري أن غالبية الأمريكيين يوافقون على قبول المتحولين جنسيا في وحدات الجيش! ليس ذلك وحسب بل أن قرارات "ترامب" أدخلت وزارة الدفاع في مأزق كبير، ودفعتها للقول بأنه لا تغيير تجاه سياسة المتحولين جنسيا حتى يصدر الرئيس قرارا آخر.

ومن الواضح أن انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، والذي اعتبرته قيادات في البنتاغون أن من شأنه أن يحرم الولايات المتحدة من استمرار الضغط على تنظيم طالبان للالتزام بشروط اتفاق السلام الموقع مع حكومة كابل، ويحد من قدرة الولايات المتحدة على مواصلة محاربة تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية، كان له مردودا سلبيا وأحدث تراجعا في ثقة الكثير من الأمريكيين، وذكرهم بانسحابهم السابق من فيتنام.

ولأن القيادة الأمريكية التزمت سياسة الغموض الاستراتيجي في السياسة الخارجية، خاصة في النقاط الساخنة الملتهبة أو مصادر الإزعاج لها، المتمثلة في "بوتين" روسيا و "شي جين" الصين و" أون" كوريا الشمالية وآيات الله في إيران، فقد كان لهذه السياسة أيضا مردود سلبي يشي باللامبالاة أو تحريض الآخرين وحسب.

ففي المسألة التايوانية عبر "بلينكن" عن موقف الإدارة الأمريكية تجاه قضية تايوان، وهو أن نهج الولايات المتحدة ثابت عبر العقود والإدارات وهو التزام بلاده بسياسة "صين واحدة" التي يسترشد بها قانون العلاقات مع تايوان، وأكد معارضة الولايات المتحدة لأي تغييرات أحادية الجانب للوضع الراهن من أي من الجانبين، إلا أن "بايدن" يزيد ذلك الغموض بدوره ليؤكد أن الولايات المتحدة ستتدخل عسكريا إذا تعرضت تايوان لهجوم صيني، وكان رده على سؤال حول إذا ما كان الرئيس الأمريكي على عكس سياسته تجاه أوكرانيا، سيستخدم القوة العسكرية للدفاع عن تايوان، أجاب "بايدن" : نعم.. هذا هو الالتزام الذي قطعناه على أنفسنا.

لكن الواقع المشاهد اليوم يؤكد أن الاجتياح الروسي لأوكرانيا كشف عن قصور كبير في انخفاض قوة الردع العسكري الأميركي، التي أصبحت حقيقة لا يعترف

بها علنا سوى قلة قليلة من قادة الولايات المتحدة كما تصف ذلك "وول ستريت جورنال".

وفي الوقت الذي قطع فيه" بايدن" العهد على استخدم القوة العسكرية للدفاع عن تايوان، فإن الصين هذا العدو الجديد الذي تخلى عن سياسته الخارجية المهادنة نسبيا، ويسعى حثيثا إلى إعادة صياغة قواعد النظام السياسي لصالحه، وينظر اليه الأمريكيون باعتباره العدو الأول لبلادهم، وبحسب آخر إحصائية أجراها معهد ريغان فإن 75% من الأمريكيين يرون في الصين عدوا لبلادهم مقارنة بنسبة 55% في مسح أجري عام 2018 هذا العدو المحتمل من المتوقع أن يمتلك ألف رأس نووي في عام 2030 وسيكون مستعدا لخوض حروب ذكية في العام 2027 ومن المتوقع أيضا أنه ما بين 2020 و2040 سيزداد العدد الإجمالي لسفن البحرية الصينية بنحو 4%وهذا من شأنه أن يجعل الصين قوة مسيطرة حقيقية في الصراع ضد

الولايات المتحدة في بحر الصين الجنوبي.

يمكن القول إن تنامي القوة الاقتصادية والعسكرية للصين وصعودها كقوة عسكرية نووية، باتت تشكل مصدر قلق وصداع عظيمين للولايات المتحدة، التي تحاول ردع الدول المارقة في عدة أقاليم جغرافية.

ما ذكرته من العوامل والأسباب التي لم أحاول فيها بلوغ النهاية والاستقصاء، والتي أدت وتؤدي إلى تراجع الثقة في المؤسسة العسكرية الأمريكية، وربما أي مؤسسة عسكرية أخرى، إذا اختلط فيها الاستبداد مع المصالح الشخصية، والطغيان مع الظلم، ربما يقود إلى حقيقة بدايات التمرد في الخارج والداخل؛ ففي ظل الأزمة الروسية الأوكرانية التي تراجع فيها الدور الأمريكي فإنه ليس من المستبعد أن تقوم الصين مثلا، بسحب الحلفاء الموالين للولايات المتحدة إلى صفها في محاولة

لإعادة تشكيل النظام العالمي الجديد، وسحب البساط من الولايات المتحدة. وربما تجد إسرائيل من ناحية ثانية أن الولايات المتحدة التي تمثل أقوى حليف لها في الصراع العربي_ الإسرائيلي قد تلاشت. قد يبدو كلامي غريبا بعض الشيء، لكنها الحقيقة فيما أتصور.

المسيرات في سماء أوكرانيا

في الأسابيع الأخيرة أطلقت روسيا مجموعات متتالية من الطائرات المسيرة من شبه جزيرة القرم لضرب البنى التحتية للطاقة في العديد من المدن الأوكرانية، وبحسب ما ذكرته صحيفة "نيو يورك تايمز" فإن إيران أوفدت مدربين للعسكريين الروس في السابق لتدريبهم على استخدام المسيرات في أوكرانيا.

وفي الوقت الذي يحمي فيه الأوكرانيون قواعدهم وسماوتهم بأجنحة "بيرقدار تي بي-2" (Bayraktar TB-2) التركية، والتي تعدها تركيا أيقونة من أيقونات نجاحها العسكري، فإن روسيا

وفقا للرواية الأوكرانية والغربية تعتمد على مسيرات إيرانية الصنع من نوعيات مختلفة.

بداية إيران في صناعة المسيرات كانت طائرات تلاش-1 التي تم تصنيعها في مصانع القدس العسكرية التابعة للحرس الثوري الإيراني، وتتميز هذه الطائرات بسرعة 120 كيلومتر في الساعة ومدى 5 كيلومتر وارتفاع 2700 متر، ثم تم تطويرها لاحقا إلى تلاش- 2 التي تعتبر أكثر حداثة وتميزا عن سابقتها بسرعة أكثر من 140 كيلومتر في الساعة، وقدرة أكبر على تنفيذ المناورات.

تتابعت بعد ذلك صناعة المسيرات الإيرانية، فظهرت إلى الوجود طائرات أبابيل بنسخها المختلفة مثل أبابيل 5 وأبابيل- تي وأبابيل بي، وأبابيل أس ومهاجر وشاهد 123 وشاهد 129 وشاهد 171 وكمان وكيان.

طائرات أبابيل تبلغ سرعتها 300 كلم في الساعة وتحتوي على مكونات للمراقبة

الجوية، فهي تحمل كاميرا ومعدات للاتصالات الرقمية، وهذه الطائرة لديها قدرة على السفر بسرعة قصوى تبلغ 300 كلم في الساعة، وقادرة على الطيران بحمولة تبلغ 45 كجم، أما شاهد-129 فهي طائرة مقاتلة وقادرة على حمل صواريخ موجهة مضادة للدبابات، حيث بإمكانها حمل ثمانية صواريخ ذكية مثل صواريخ سديد، وتقوم بعمليات قتالية ضد الأهداف الثابتة والمتنقلة.

وتعتبر شاهد-171 نموذج إيراني خالص عن الطائرة الأمريكية "ار كيو-170" التي أسقطتها إيران عام 2011 والتي كانت تستخدم آنذاك لأغراض التجسس فوق سماء إيران، وتم السيطرة عليها إلكترونيا ومصادرتها من قبل الدفاع الجوي الإيراني، ثم صنعها باستخدام الهندسة العكسية!

أما مجموعة عائلة كيان المسيرة فهي تختلف عن المسيرات الأخرى بأنها تمتلك العديد من القدرات الهجومية، ويمكنها

الطيران لأكثر من 1000 كيلومتر والتحليق على ارتفاع 5000 متر، ويمكنها ضرب وتدمير أهداف خارج حدود البلاد بدقة عالية جدا.

ومع افتراض صحة الرواية الأوكرانية والروايات الغربية بشأن انخراط مسيرات إيران في حرب أوكرانيا، فانه لا يعرف على نحو دقيق ومفصل أعدادها ولا نوعياتها، رغم أن المعلومات المتداولة تشير إلى بعض الطرازات من نوع "شاهد-136"، و"مهاجر-6".

مع هذا فإن الولايات المتحدة اتهمت إيران بتزويد روسيا بمئات الطائرات المسيرة لاستخدامها في حرب أوكرانيا، فقد قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية: "تعميق العلاقات بين موسكو وطهران يجب أن ينظر إليه على أنه تهديد"، وأن" الولايات المتحدة ستستمر في اتخاذ إجراءات عملية وخطوات صارمة لجعل مبيعات الأسلحة هذه أكثر صعوبة،

بما في ذلك العقوبات ومراقبة أي كيانات متورطة في ذلك".

في الطرف الآخر نفى وزير الخارجية الإيراني الاتهامات الموجهة لإيران بشأن تقديم أسلحة لأحد أطراف الحرب في أوكرانيا، وذكر أن بلاده لم تقدم أسلحة لأي طرف ولن تفعل، لأنه في اعتقاده تسليح أي طرف من أطراف الأزمة سيؤدي إلى إطالة أمد الحرب، وأن الحرب ليست هي الطريق الصحيح سواء في أوكرانيا أو أفغانستان أو سوريا أو اليمن، وبعد نفيه الواضح القاطع هذا فإنه لا يعلم أحد على وجه التحديد من هو الكذاب!

من الواضح أنه إذا كانت هوية المسيرات التي أطلقتها روسيا هي مسيرات إيرانية، فهذا من شأنه خلق حالة رعب من هذا النحل الطائر، ليس في أوكرانيا وحدها بل تمتد إلى إسرائيل، وتهديد وجودها بهذه القوة الإيرانية الجديدة المستحدثة

رئيسالوزراء السابق "بينيت" ذكر أمام الأمم المتحدة عام 2021 أن الإيرانيين يمكنهم أن يمدوا حلفائهم بهذه الطائرات، وهذا من شأنه أن يخلق حالة غير متكافئة، لأن تشغيلها لا يكلف الكثير إلا أن الحماية منها مكلفة جدا، وتهديد هذه الطائرات لا يستهدف إسرائيل وحدها بل يستهدف أي مكان، لأن إيران لديها وحدة مستقلة لتشغيل اسراب من هذه الطائرات.

"تال شنايدر" الخبيرة في شؤون الشرق الأوسط أوضحت من باب التذكير، أنه في فبراير 2018، أسقط الجيش الإسرائيلي طائرة إيرانية بدون طيار دخلت الأجواء قادمة من مدينة تدمر السورية، وهناك حالتان في فبراير 2021 وفبراير 2022، شهدتا اعتراض طائرات إسرائيلية وأمريكية للمسيرات الإيرانية في طريقها لإسرائيل، ففي الحالة الثانية ضربها الطيران الأمريكي في المجال الجوي العراقي، لكن الهجوم الروسي المكثف باستخدام

المسيرات الإيرانية يعتبر حدثا حاسما للجيش الإسرائيلي، ويمكن للمرء أن يتكهن بما سيحدث إذا لم يتم منع المسيرات الإيرانية من الوصول للمدن الإسرائيلية.

الأوساط العسكرية الإسرائيلية في تقديراتها أنه يمكن لهذه الطائرات بدون طيار أن تقطع مئات الكيلومترات في رحلة إلى الهدف في قلب إسرائيل، وفي مرحلة الطيران هذه يمكن من الناحية النظرية اعتراضها بصواريخ جو – جو، لكن السؤال هو: لماذا لم يتم اعتراضها في أوكرانيا وهي في طريقها إلى الهدف.

يمكن القول إنه ليس الملف النووي الإيراني هو وحده ما يصيب إسرائيل بالرعب والخوف على بقاءها، لكن استخدام روسيا للمسيرات الإيرانية بهذه الكثافة يزيد من رعبها، لذلك هي تسعى جاهدة لإقحام ملف المسيرات الإيرانية في المفاوضات بين إيران

والولايات المتحدة، ليس ذلك فحسب بل تحريض الفواعل على صد هذه القوة الإيرانية الجديدة وإفشالها، وعلى هذا فإن التساؤل الكبير هو كيف تستعد إسرائيل لمثل يوم أسود إذا غطت أبابيل وشاهد وكيان الإيرانية سماءها.

ربما يرجع السبب في لجوء روسيا إلى استعمال الطائرات المسيرة الإيرانية من نوع شاهد_136 لاستهداف البنى التحتية لأوكرانيا، إذا صحت الرواية الأوكرانية في تحديد هويتها، لأنه من الممكن تكون أكاذيب وتلفقيات ضد إيران وروسيا باعتبارهما وجهان لعملة واحدة، ربما يرجع لعدة أسباب في تقديري، نستطيع أن نقرأها كما يلي:

1_ نقص غير متوقع في الأسلحة الدقيقة بعيدة المدى، خاصة بعد أن تجاوزت الحرب شهرها الثامن، ربما يرجع إلى كثافة النيران غير الموجهة توجيها دقيقا للأهداف، مما ينتج عنه النقص

والانقطاع في الأسلحة الدقيقة والذخائر.

2_محاولة روسيا تصفير الخسائر البشرية ما أمكن، باستخدام المسيرات بدلا من الطائرات الحربية التي قد تتعرض طواقمها للقتل أو الأسر، فضلا عن الخسائر المترتبة على تدمير الطائرة المقاتلة نفسها، وربما تكون هذه الاستراتيجية الحربية من أفضل الاستراتيجيات التي يتم استخدامها، ومن غير المستبعد أن تدار الحروب مستقبلا بمثل هذه التقنيات زهيدة الثمن، مقارنة بتكلفة المقاتلة الحربية.

3_الدقة في تحديد الأهداف خاصة الثابتة، وتدميرها تدميرا كاملا.

4_صعوبة تتبع مسار الطائرات المسيرة وإسقاطها، خاصة لو كانت بأعداد كبيرة.

5_تشكل المسيرات بأعدادها الكثيرة جيشا جديدا بكامل عتاده يضاف إلى جيش

الدولة البشري، وهذه ميزة قد تستخدمها بصورة جيدة الدولة قليلة العدد لسد النقص البشرى، وتوفير النفقات المادية اللازمة من ناحية ثانية في حال تجهيز الجنود والآليات المقاتلة.

6_يعتبر استخدام المسيرات دعما فعالا لسلاح الجو الروسي في تنفيذ العمليات، وسحق الروح المعنوية للطرف الأوكراني.

7_من ناحية الحجم والوزن وأجهزة الاستشعار والتجهيزات القتالية، فإن المسيرات تعتبر من أهم احتياجات ومتطلبات العمليات القتالية، لضرب أهداف أرضية فردية باستخدام القنابل والصواريخ الموجهة.

8_ تساعد المسيرات وحدات الجيش على تحديد أماكن العدو، وتحديد مواقع المدفعية وقادرة على اختراق الدفاعات الجوية بفعالية عند إطلاقها في مجموعات، ولها المقدرة على التصوير والبث المباشر لتجمعات العدو.

ورغم نفي روسيا وإيران للادعاءات الأوكرانية والغربية، وزعمهما أن كل ما جرى إنما هو يخضع لهدف واحد وهو الضغط على إيران، وأن الولايات المتحدة تقوم بدور التعبئة لدول الناتو والاتحاد الأوروبي، وترويج أن إيران انتهكت قرار مجلس الأمن رقم 2231 الذي وضع الإطار القانوني للاتفاق بشأن البرنامج النووي الموقع عليه عام 2015 بين إيران والفواعل الكبرى، وكان من أبرز بنوده حظر تصدير أسلحة مثل الطائرات المسيرة، بعد هذا يمكن القول أننا مقبلون على نظام عالمي جديد، يختلط فيه الواقع مع الخيال، والحقائق مع الفرضيات، والممكن مع المستحيل، وتدار فيه الحروب الكترونيا عن بعد دون مواجهات حقيقية أو منازلات مباشرة للطرفين المتصارعين.

قراءة في انتخابات التجديد النصفية الأمريكية

تعتبر الولايات المتحدة من أكبر الفواعل المهيمنة في المجتمع الدولي بما تملكه من قوة اقتصادية ضخمة وقوة عسكرية ضاربة، وبهذا الاعتبار فإن الانتخابات النصفية الرئاسية التي انطلقت في الثامن من نوفمبر، ستظل سيرورتها باقية على كل الألسنة في المجتمع الدولي، وتظل أغلب الوحدات السياسية إن لم يكن كلها، في حالة متابعة وترقب لما تسفر عنه نتائج الانتخابات النصفية، التي ربما تنعكس مآلتها عليها بشكل أو بآخر.

الانتخابات الرئاسية الأمريكية تجرى كل أربع سنوات، يتنافس فيها الحزبين

الرئيسيين: الحزب الجمهوري (المحافظون) والحزب الديمقراطي (الليبراليون أو اليساريون)، ولا ينتخب الرئيس مباشرة لكن عن طريق أعضاء المجمع الانتخابي الذي هو الجهة المناط بها اختيار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، أما الانتخابات النصفية الأمريكية فتجرى بعد عامين من تسلم الرئيس منصبه، وتعتبر مؤشرا واستفتاء عاما على أداء الرئيس في الفترة الماضية، كما أنها ذات أهمية كبيرة في تحديد الاتجاه الذي تسير فيه الدولة.

لا يغيب عن الأذهان ما جرى في السادس من يناير 2021 عندما اقتحم المئات من أنصار "ترامب" مبنى الكونجرس، في مشاهد فوضوية وأعمال تخريب ونهب لم تألفها الولايات المتحدة، واجبروا الكونجرس وقتها على تأجيل جلسة التصديق على فوز "بايدن" مؤقتا، كان "ترامب" في ذلك الوقت يحلم بإطالة مدة بقائه في البيت الأبيض من خلال نشر

الفوضى وإشاعة بطلان نتيجة المجمع الانتخابي، وأن "بايدن" في حقيقته ما هو إلا مزور كبير وداهية.

انقسم الأمريكيون آنذاك إلى فريقين: فريق يعتقد أن اقتحام الكابيتول بهذه الصورة الفجة قد أصاب مصداقية الديمقراطية الأمريكية العريقة في مقتل، والفريق الآخر يرى أن التجربة الحالية بكل تفاصيلها تؤكد بقاء تلك الديمقراطية في مواجهة أكثر السيناريوهات قسوة وفظاعة، وأن هذا الاقتحام من هؤلاء الرجرجة الذين تغلبوا على الشرطة، واجبروا المشرعين أن يخرجوا من قاعة نتائج الانتخابات، إنما هو اختبار قاس لابد أن تتعرض له أي دولة تنادي بالديمقراطية!

الناخبون في الانتخابات النصفية سيقومون باختيار كل أعضاء مجلس النواب 435 مقعد أما مجلس الشيوخ فتجرى الانتخابات على 35 مقعد من أصل 100 وتستمر ولاية كل عضو فيه ست سنوات، كما

يصوت الناخبون أيضا على حكام الولايات 36 مقعد من أصل 50 وهي تعتبر فرصة لانتخاب وزراء الدولة المحليين والمدعيين العامين والمجالس المحلية.

من الواضح أنه إذا خسر "بايدن" الأغلبية في مجلس الشيوخ أو مجلس النواب، فإنه سيترتب على ذلك إعاقة أغلب الإصلاحات التي كان يقصد تنفيذها في توازن سياسي جديد، ومعارضة سياسته الخارجية وربما تعديل مسارها، خاصة الملف النووي الإيراني والملف الأوكراني.

صحيح أن فشل "ترامب" الذريع في إدارة جائحة كورونا في الولايات المتحدة، كان ورقة ضغط تم استقلالها بشكل جيد في السباق الانتخابي الرئاسي الأخير من الحزب الديمقراطي، وكان من جملة الأسباب التي أتت به حاكما على الأمريكيين؛ إلا أن "بايدن "وبحسب استطلاعات الرأي العام تناقصت شعبيته بدرجة كبيرة، فقد أظهر استطلاع رأي

أجرته " رويترز" و" إبسوس" يوم 7 نوفمبر، أظهر تراجع شعبية "بايدن" إلى 39% في الوقت الذي يحتاج الأمريكيون فيه إلى رئيس يضع حلولا فورية لمشاكلهم، مثل التقليل من تكاليف الرعاية الصحية، ومساعدتهم في خلق فرص عمل جديدة، والتقليل من معدل الجريمة المتزايد، وخفض معدل التضخم الذي بلغ 8.2% .

تأتي انتخابات التجديد النصفية للكونجرس في ظل معطيات معقدة وواقع عالمي أكثر تعقيدا، فالحرب الأوكرانية الروسية لا يبدو لها نهاية في الأفق بعد أن دخلت الحرب شهرها التاسع، وبعد أن تصاعدت لهجات التهديد والوعيد بالنووي من الطرف الروسي، ومن المرجح أن يتناقص الدعم والمساعدات العسكرية لأوكرانيا في حال فوز الجمهوريون بانتخابات التجديد النصفي الحالية إذا لم يتوقف، الشيء الذي ربما يقلب الموازين العسكرية رأسا على عقب في الميدان.

ومن الواضح أيضا أن اللوبي اليهودي مثل لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية_الأمريكية (آيباك) التي تأسست عام 1953 وهي من أكبر جماعات الضغط المؤثرة على القرار الأمريكي، ومن أهم الجماعات التي يحرص الساسة الأمريكيين على حضورها والحديث أمام أعضائها عن دعمهم إسرائيل، من الواضح أن لهذا اللوبي الدور المؤثر الأكبر في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، والنصفية التجديدية، وهو في كل الأحوال يدعم بصلابة وقوة الحزب الذي يعمل أكثر من اجل بقاء الكيان الإسرائيلي، ولا يخفى على أحد صفقة القرن التي تولى كبرها "ترامب" والتي كان نهايتها تحويل السفارة الأمريكية من تل ابيب إلى القدس، في إشارة واضحة إلى الاعتراف بسيادة إسرائيل، ليس على تل ابيب وحدها بل على القدس أيضا، وفي ذات السياق فقد وعدت "ليز تراس" أيضا بصفقة قرن ثانية تماثل صفقة القرن الترامبية، إلا أن أحلامها ووعودها

تبددت في الهواء بعد أن حاصرت بريطانيا الضوائق الاقتصادية والتي جعلتها تقدم استقالتها على مضض.

مع هذا فإن "بايدن "من جانبه يسلك ظاهريا طريقة الاتزان السياسي، فهو يدعو إلى التسوية السياسية، والتزام المفاوضات لحل النزاع العربي_ الإسرائيلي، لكنها في واقع الأمر لا تخرج من كونها مسكنات ومهدئات للطرف العربي، ودعوات تفاؤل في الوقت نفسه للطرف الإسرائيلي بما يخدم استقرار اسرائيل وأمنها. هذا الفرض في تقديري يزداد بدرجة كبيرة إذا تمكن الجمهوريون من مجلسي الكونجرس أو أحداهما، وتبعا لذلك فإن النزاع العربي_الإسرائيلي لن يفارق التسكين والتهدئة والتطبيع إلا في بروز قطب آخر أكثر قوة ومنعة.

الولايات المتحدة والصين والمسألة التايوانية

قبل ما يزيد على ربع قرن من الزمان، تحديدا في عام 1995 القى الرئيس التايواني "لي تين" خطابا في جامعة "كورنيل" عن التجربة الديمقراطية التايوانية. كان هذا الحدث من جانب الصين غلطة لا تغتفر لاعتبارات كثيرة، من أهمها أن الصين تعتبر تايوان جزء من الصين الواحدة، ولا تقبل في ذلك أي محاولات انفصالية أو استقلالية، ولذلك أجرى الجيش الصيني عقب خطاب الديمقراطية التايوانية، مناورات عسكرية ضخمة واختبارات وتدريبات صاروخية في مضيق تايوان، وهو الشيء الذي دفع الولايات المتحدة إذ ذاك

لإرسال مجموعتين من حاملات الطائرات الضاربة: (انتر برايز) و(جورج واشنطن) إلى المنطقة.

لم ينتهي التوتر بين البلدين جمهورية الصين الوطنية (تايوان) وجمهورية الصين الشعبية على ذلك، بل تعقد الموقف أكثر بعد وصول "ترامب" إلى الحكم، فقد بادر "ترامب" باتصال هاتفي مع رئيسة تايوان "تساي انغ ون" وهي من الساعين إلى مشروع الانفصال عن الصين واعتبار جمهورية الصين الوطنية دولة مستقلة ذات سيادة، وهو ما اعتبرته الصين تدخلا سافرا في الملف التايواني. التعقيد بلغ ذروته وكماله بزيارة "نانسي بيلوسي" الأخيرة الغامضة إلى تايوان بعد 25عاما من زيارة أخر مسؤول أمريكي إلى تايوان.

تقع تايوان في جنوب شرقي آسيا، وهي تتألف من مجموعة جزر في المحيط الهادئ يفصلها عن الصين مضيق فورموزا، وتبعد من الساحل الجنوبي الشرقي للبر الصيني

حوالي 140كيلو مترا من مقاطعة فوجيان الصينية.

ويرجع تاريخ تايوان الانفصالي إلى القرن السابع عشر، حيث سيطرت الصين في ذلك الوقت على جزيرة تايوان واستولى الحكم سلالة" تشينغ"، لكن بعد خسارة الصين في الحرب الصينية اليابانية الأولى تخلت سلالة "تشينغ "عن حكم الجزيرة، وأصبحت تايوان مستقلة عن الصين في عام 1895.

بعد خسارة اليابان الحرب العالمية الثانية في عام 1945 اندلعت الحرب الأهلية في الصين، وانتهت بسيطرة النظام الشيوعي على بكين عام 1949 بينما فر الجمهوريون (الكومينتانج) إلى جزيرة تايوان، وتمسك كلا الفريقين: الشيوعيون في الصين، والكومينتانج في تايوان في أحقيتهما وتمثيلهما الرسمي للأراضي الصينية كلها، إلا أن قرار الأمم المتحدة في عام1971 انتهى بطرد تايوان من الأمم المتحدة وقطع العلاقات

الدبلوماسية معها لاحقا، واعتبار الصين الشعبية هي الممثل الوحيد لكل الصين واحد الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن.

بالنسبة للداخل الأمريكي فان الصين تعتبر أكبر تهديد بل الأكثر خطورة على الولايات المتحدة، لما تقوم به الصين من إعادة تشكيل منطقة المحيطين الهادئ والهندي، ومن إقامة قواعد عسكريّة في عدة دول، إضافة لكونها دولة اقتصادية قفزت إلى الصدارة بسرعة كبيرة مقارنة مع غيرها من الدول.

أما تايوان فهي منطقة استراتيجية هامة لكلا الفاعلين الأمريكي والصيني، فهي تربط بين دول حليفة للولايات المتحدة في بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي، توليها الولايات المتحدة اهتماما كبيرا، لأنها تمثل البعد الجنوبي لحليفتها اليابان، والبعد الشمالي لحليفتها الفلبين. وتعتبر تايوان بالنسبة للصين أيضا

منطقة هامة وحساسة لموقعها الجيو سياسي في بحر الصين الجنوبي، الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على السيادة الصينية.

لم يبتعد المفكر الجيوسياسي الأمريكي "سبيكمان" عن قراءة الواقع، فقد حذر وقت الحرب العالمية الثانية من توحيد اوراسيا تحت هيمنة قوة أو تحالف واحد، لأن ذلك إذا تم من شأنه أن يعزل الولايات المتحدة ويجعلها محاصرة من الشرق والغرب؛ بما يمهد لتوجيه ضربة موجعة لها في خاصرتها الرخوة في الجنوب من جهة المكسيك وأميركا اللاتينية.

يمكن القول إن الأيدلوجيا الأمريكية المناهضة للشيوعية، كانت من جملة الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة تتخذ حلفاء في شرق أسيا مثل كوريا الجنوبية، وان تدعمها بالذخائر والجنود والقواعد العسكرية في حربها مع كوريا الشمالية، وذات السبب في

تقديم المساعدات العسكرية لتايوان بغرض ضمان حمايتها من أي عدوان صيني وشيك، والمصلحة في ذلك هو فرض وبسط الهيمنة والسيطرة الأمريكية في شرق أسيا في مواجهة التمدد الصيني وتنامي القدرات الصينية.

الحقيقة أن حالة الغموض والضبابية التي تنحى اليها الولايات المتحدة في نظر الكثيرين، إنما هي في واقع الأمر في تقديري بل في تقدير أي مراقب محاولة الاستفادة الكاملة من كل الظروف والمتغيرات التي تتطلبها ضرورة الاستراتيجية الأمريكية، فمن ذلك الغموض أنها في الوقت الذي تعترف فيه بسياسة الصين الواحدة وإقامتها علاقات دبلوماسية مع الصين الشعبية، إلا أنها في الوقت ذاته كانت تطور علاقتها مع تايوان كما لو كانت دولة ذات سيادة!

ورغم الجدل الذي صاحب زيارة "نانسي بيولسي" إلى تايوان، وتصريحات الرئيس الصيني وقتها الذي دعا الولايات

المتحدة صراحة إلى عدم اللعب بالنار بشأن تايوان، وتصريحات النشطاء الصينين الذين توعدوا" بيولسي " اذا أتت تايوان بإرسالها إلى الله ! إلا أن هذه الزيارة الغامضة تعتبر محاولة لامساك العصا الأسيوية من النصف واللعب بكل أوراق الضغط وقتما تتطلب الضرورة.

وفي أحيان كثيرة تبدو الضبابية والالتباس في تحديد وجهة الولايات المتحدة من خلال التصريحات المتضاربة للمسؤولين الأمريكيين، من ذلك مثلا تصريح "بايدن" أن الولايات المتحدة ستتدخل عسكريا حال اجتياح الصين لتايوان، إلا أن البيت الأبيض بادر إلى خطاب يوضح فيه أن تصريح الرئيس لا يقصد تدخلا عسكريا بالمعنى، إنما هو التزام الولايات المتحدة بمساعدة تايوان في الدفاع عن نفسها فقط.

يقول "كلايد بريستو ويتز" في (أمة مارقة):

إن اتجاهات الولايات المتحدة فيما يتعلق بتايوان اتجاهات متضاربة بصورة خاصة، ورغم أننا قطعنا علاقتنا الدبلوماسية الرسمية مع تايوان، وأكدنا على سياسة" صين واحدة"، فإننا واصلنا الحفاظ على روابط اقتصادية وثيقة مع الجزيرة، يضاف إلى ذلك انه مع خروجها الحديث من الديكتاتورية إلى الديمقراطية وحديثها عن إعلان استقلالها عن الصين، غدا دعم الولايات المتحدة لتايوان اقوى مع إعلان "بوش" عن مبيعات أسلحة جديدة كبرى، وتأكيد أن الولايات المتحدة سوف تفعل ذلك مهما اقتضى الأمر حماية تايوان.[1]

أن الصراع لا تمليه عوامل الاختلاف في المصالح القومية للدول فحسب، وإنما ينبع في الجانب الأكبر منه من محاولة كل دولة زيادة قوتها القومية على حساب الدول الأخرى، ويترتب على ذلك أنه إذا تمكنت دولة واحدة من أن تحصل على تفوق ضخم في قواها، فإن هذا من شأنه أن يدفع بها إلى تهديد حرية الدول

الأخرى واستقلالها، وهذا التحدي في حد ذاته هو الذي سيدفع بالدول محدودة القوة إلى مواجهة القوة بالقوة، وذلك عن طريق التجمع في محاور القوى المضادة المتعادلة أو شبه المتعادلة، حتى لا تتمكن دولة أو مجموعة من الدول من الاعتداء على غيرها، تحت وهم الاعتقاد بأنها تتمتع بالتفوق الذي يتيح لها مثل هذه الهيمنة والسيطرة. [2]

يرى البعض في المسألة التايوانية أن بكين لديها خيار أقل تكلفة من الحرب، وهو حرب " المنطقة الرمادية" التي هي جزء من قواعد اللعبة التي تمارسها الصين مع تايوان والدول المجاورة التي لديها نزاعات إقليمية معها، وذلك يتمثل في فرض حصار بحري طويل الأمد على الجزيرة، وربما ضرب أهداف عسكرية في العمق التايواني.

إلا انه في ظل المتغيرات الحالية واندلاع الحروب الضارية في أوكرانيا،

التي تبدو فيها الولايات المتحدة محركا وداعما خلفيا لأوكرانيا في مواجهة الدب الروسي، ورغم تدهور الموقف في الأرض ورجحانه لروسيا، فانه لهذه الاعتبارات ربما يكون هذا التوقيت هو الأنسب لبدء غزو صيني شامل لتايوان، بدلا من سياسة الحفاظ على الوضع الراهن الحالية، ومن المتوقع أن لا يكون هناك أي رد فعل من حاملات الطائرات الأمريكية في المحيط الهادي لأن تكلفة الخسائر ستكون للولايات المتحدة كبيرة جدا، بمعنى هزيمة تايوان والولايات المتحدة في وقت واحد.

المصادر:

[1]_ كلايد بريستو ويتز، أمة مارقة.

[2]_ إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات.

القوي من أسماء الله الحسنى

قال "ابن منظور "في (لسان العرب): القوّة من تأليف" ق و ى " ولكنها حملت على فُعلة فأدغمت الياء في الواو كراهية تغير الضمة.. ابن سيده: القُوةُ نقيض الضعف والجمع قُوّى وقِوّى، وقوله عز وجل: (يا يحي خذ الكتاب بقُوّةٍ) أي بجد وعون من الله تعالى.. وقد قَوِيَ فهو قَوِيّ وتَقَوّى واقْتَوى كذلك، قال رؤبة:

وقُوّةَ الله بها اقْتَوَينا

وقواه هو التهذيب وقد قَوِيَ الرجل والضعيف يَقْوَى قُوّة فهو قَوِيٌ وقَوّيْتُه أنا تَقْوِيةً وقاوَيْتُه فَقَوَيْتُه أي غلبته.

وفي (تاج العروس) للزبيدي: القُوّةُ بالضم: ضد الضعف يكون في البدن وفي

العقل قال الليث: هو من تأليف: "ق و ي" ولكنها حملت على فُعلة فأدغمت الياء في الواو كراهية تغير الضمة، الجمع: قوي بالضم والكسر، وقوله تعالى: (يا يحي خذ الكتاب بِقُوّةٍ) أي: بجد وعون من الله تعالى.. وقَوِيَ الضعيف (كَرَضِيَ) قُوّةً فهو قَوِيٌ والجمع: أقوياء، وتَقَوّى مثله كما في الصحاح، واقْتَوى كذلك. قال رؤبة:

وقُوّةَ الله بها اقْتَوَينا

وقيل: اقْتَوَى: جادت قوته، وقَوّاهُ الله تعالى تَقْوِيَةً.. وأقْوَى: إذا استغنى وأيضا إذا افتقر كلاهما عن ابن الإعرابي، فالأول بمعنى: صار ذا قوة وغنى، والثاني بمعنى زالت قوته.

وكلمة القوة واشتقاقاتها المتعددة مثل (القوي)، و(قوة) و(قوتكم)، و(قوي)، و(قويا) وردت في آيات عديدة من أي التنزيل، قال الله تعالى: (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) [القصص: 26]، (فأما عاد فاستكبروا في

الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآيتنا يجحدون) [فصلت:15].

وقال تعالى:(يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) [مريم:12]،(و يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) [هود: 52]،(قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) [النمل:33]،(قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما) [الكهف: 95]،(وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) [محمد:13]،(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من دون الله من واق) [غافر: 21].

و(القوي)من أسماء الله تعالي، قال الله جل شأنه: (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوي العزيز) [هود:66]، وقال تعالى: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) [الشورى: 19]، (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) [المجادلة: 21]

قال "ابن جرير الطبري" رحمه الله تعالى: القول في تأويل قوله تعالى :(كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (21)

وقوله: (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) يقول: قضى الله وخطّ في أمّ الكتاب، لأغلبن أنا ورسلي مَن حادّني وشاقّني، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (كَتَبَ اللَّهُ

لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) . الآية، قال: كتب الله كتابا وأمضاه.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) يقول: إن الله جلّ ثناؤه ذو قوّة وقدرة على كلّ من حادّه، ورسوله أن يهلكه، ذو عزّة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه

الولايات المتحدة وإسرائيل : اعتبارات ومآلات

من أقوى أنواع العلاقات الدولية التي تربط الدول ببعضها في المجتمع العالمي، هي تلك العلاقة التي تربط الولايات المتحدة باسرائيل، وهي من الأنواع الوثيقة الوطيدة التي تتأكد وتتضح معالمها كل يوم خاصة في ظروف الحرب الدائرة بين إسرائيل وفصائل المقاومة الإسلامية في فلسطين، إذ يشترك الاثننان معا (الولايات المتحدة واسرائيل)، في محاولة محو المقاومة الفلسطينية تماما، والتأكيد على يهودية الدولة في فلسطين، ومحاولة خلق واقع جديد لا ذكر فيه للقضية الفلسطينية .

مع هذا فإنه بمقدور أي مراقب ان يلاحظ أن الواقع العملياتي في حرب طوفان الأقصى يؤكد هذه العلاقة الوطيدة بين الدولتين، واستمراريتها على هذا النحو الذي تحاول فيه إسرائيل محو الهزيمة المرة التي لحقت بها من الضربات الأولى الموجعة، وتأكيد يهودية الدولة بمساعدة واسناد الحليف الرئيس والأساسي (الولايات المتحدة).

ولا شيء يرسخ ويقوي من جذور هذه العلاقة الوثيقة الضاربة بين الولايات المتحدة وإسرائيل في تقديري، حتى تبدو الدولتين كجسم واحد لهما نفس القرارات والمواقف والأفعال، سوى تمكن الصهيونية العالمية من مفاصل الادارة في الولايات المتحدة، وهو ما يفسر كل ردود الافعال والقرارات التي تبدو متسقة تماما بين الادارتين، خاصة بعد وصول اليمين المتطرف للسلطة في إسرائيل، وهذا التمكن يعتبر من أسلم الطرق وأنجعها كما ترى القيادات الإسرائيلية، لمواصلة الصهيونية

العالمية في ادارة والسيطرة على الملفات الساخنة والملتهبة في المنطقة، والتي تراعي في الأول والأخير المصلحة الإسرائيلية وبقاء الدولة.

غير أن هذه العلاقة القوية بين الدولتين (الولايات المتحدة وإسرائيل)، تعتمد أيضا على عدة اعتبارات أخرى تسهل من الامساك تماما بهذه العلاقة وتغذيتها ودفعها إلى مراحل متقدمة، ومتجاوزة كل الأصوات التي تبدو معاكسة ومناهضة لهذا الخط من الانصهار والعمل المشترك، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: ضعف الانظمة العربية في المنطقة، فهي إما أنظمة عميلة تماما، يهمها مصلحتها وتشبثها بالسلطة كما هو منظور ، وإما تحاول دفن رأسها في الرمال، مرتضية بسياسة الوضع الراهن، إذا لم يكن في ذلك ما يمس استقرارها او وجودها، وكان الأوجب لهذه الأنظمة، أن تعمل قدر الإمكان لفصم هذه العلاقة

القوية، أو محاولة إضعافها وفضحها بالوسائل المتاحة، في وقت بات فيه العالم قرية صغيرة، بما يحقق عزل إسرائيل قدر الإمكان عن حليفها الأساسي والرئيس.

ولأن محاولة الاقتراب من هذه الحلقة أو الرباط الذي يربط الدولتين ببعضهما وكسرها على النحو الذي يجعل من إسرائيل دولة معزولة عن حليفها الرئيس والأساسي هو من الأشياء التي توليها مراكز القرار في كلا الدولتين عناية ورعاية كبيرة، فقد كان من الطبيعي ومن مصلحتهما الاثنين معا أن تظل الأنظمة العربية في حالة ضعف دائم، حتى لا تجرؤ على كسر هذه الحلقة الرابطة ، وأكثر من ذلك، أن يظل كل صوت يدعو إلى استقلال القرار الأمريكي بعيدا عن المصلحة الإسرائيلية، أيضا في حالة ضعف دائم. بات هذا ضربة لازب.

ثانيا: العلاقات الاقتصادية والعسكرية التي تربط كلا الدولتين بدول

المنطقة العربية، وهذا ما نجحت فيه إسرائيل والولايات المتحدة بالفعل، حتى ظهر الى حيز الوجود في هذه الألفية، مفردات حديثة ومختلقة، مثل صفقة القرن، وعمليات التطبيع بين إسرائيل والدول العربية، في محاولة لفرض واقع جديد يقوم على تضييع القضية الفلسطينية،ومحوها من الأذهان، والقبول بالمكون الإسرائيلي في الوسط العربي باعتباره واقعا جديدا لا بد التعايش معه،وقبوله.

ثالثا: تمرير مشاريع جديدة يبدو ظاهرها الاهتمام الإقتصادي الصرف لدول المنطقة، مثل مشروع الممر الاقتصادي الذي ظهر مؤخرا للعلن، لكن بواطن هذه المشاريع الاقتصادية هو ايضا يصب في ذات الواقع الجديد الذي تحاول فيه كلا الدولتين تضييع القضية الفلسطينية ومحوها من الأذهان ما أمكن.

رابعا: ادخال المنطقة العربية في دوامة الفوضى الخلاقة والحروب، وتغذية

هذه الحروب قدر المستطاع، و ملاحقة التنظيمات الإسلامية المتطرفة وتجفيف منابع الارهاب في كل القارات، ولا يخفى أن الغرض منه صرف النظر عن التمدد والتمكن الإسرائيلي في المنطقة، والاستيلاء على الموارد الطبيعية،وتأمين مصالحهما، بما ينطوي ذلك على تصوير تلك التنظيمات المتطرفة والمعتدلة على السواء، بأنها المهدد الأول والأخير في المنطقة العربية، أو بالأحرى مهدد رئيس وأول للعروش العربية، وإطالة هذه الحروب بما يحقق ذلك تفكيك الجيوش العربية، وانهاكها، ووصولها الى مستوى عال من الضعف والتفكك، بما يضمن للجانب الإسرائيلي والأمريكي معا ميزات التفوق والتفرد والقوة.

خامسا: تمكن الدولتين معا من المنظمات والمجمعات الأممية، مثل منظمة الأمم المتحدة، ومقدرتهما على تجاوز وتحريف وتبديل النصوص التي

تجرم سلوكهما في اعمال الحرب والابادة والتجويع والقتل الجماعي في غزة.

ما لم يتغير، هو استمرار الولايات المتحدة في الدفاع عن إسرائيل، وفقط قبل أيام، رفعت سفيرة الولايات المتحدة، " ليندا توماس غرينفيلد "، يدها للمرة الرابعة، في 20 فبراير/شباط الماضي، مستخدمة حق النقض مرة أخرى، رافضة بذلك الدعوة الجزائرية لوقف فوري لإطلاق النار لأسباب إنسانية في قطاع غزة. وحتى في محكمة العدل الدولية، عندما دافع العالم أجمع عن الحرية الفلسطينية، عارضت الولايات المتحدة ذلك، ودافعت عن إسرائيل. [1]

مع ذلك ورغم صعوبة اختراق تلك الاعتبارات المساعدة والمسهلة في توثيق علاقة الدولة الأمريكية بالمكون الإسرائيلي والذي من نتائجه السئية هي الابادة التامة والقتل الجماعي الذي يتعرض له الفلسطينيين على مدى خمسة

أشهر، فإنه يمكن قراءة عدة عوامل أخرى ربما تعمل على اختراق تلك العلاقة الوثيقة، منها:

أولاً: استمرار الحرب الروسية الاوكرانية وكلفتها الباهظة لدى اوكرانيا والولايات المتحدة،بما ينعكس سلبا على المخزون الإستراتيجي من الأسلحة في الولايات المتحدة ونقص الذخائر ، وهو ما يعني استنزافا للآلة العسكرية الأمريكية وعدم مقدرتها في تحقيق السيطرة التامة على الأرض.

ورغم تصريحات وزير الدفاع الأمريكي" لويد أوستن " أن الولايات المتحدة لن تسمح بسقوط أوكرانيا إلا أن الكونغرس الأمريكي يشهد خلافا كبيرا بين الديمقراطيين والجمهوريين بشأن حزمة المساعدات الأمريكية ل-أوكرانيا في وقت تعاني فيه أوكرانيا نقصا في الذخائر، وفي وقت تعلن فيه روسيا أن قواتها حققت مكاسب إضافية في شرق

أوكرانيا بعد السيطرة على مدينة أفدييفكا.

أعرب أوستن عن أمله في أن يوافق الكونغرس على الدعم الإضافي "قريبا"، وقال إن مساعدة أوكرانيا تفيد واشنطن وكييف على حد سواء.وقال في مؤتمر صحافي إن "الولايات المتحدة تقف بجانب أوكرانيا لأن هذا هو الأمر الصحيح الذي يجب القيام به ولأن أميركا تتحرك عندما تكون الحرية في خطر. لكننا نقف أيضا بجانب أوكرانيا لأن ذلك مهم جدا بالنسبة إلى أمننا". [2]

من ناحية ثانية فإن تعدد الجبهات التي وقعت فيها الادارات الأمريكية، مثل المأزق والجبهة الروسية والمأزق الفلسطيني، من شأنه أن يكون عاملا يخدم فصائل المقاومة الإسلامية في عزل الولايات المتحدة عن إسرائيل، إذ يبدو من الصعوبة بمكان أن تقدم المساعدات العسكرية لرقعتين في آن واحد.

ثانيا:مع دخول حرب طوفان الأقصى شهرها السادس فإنه يمكن ملاحظة ان العقيدة القتالية والارادة القتالية لدى فصائل المقاومة الإسلامية قد حققت جزء ولو يسير من الاختراق الكبير في كسر علاقة الدولتين ببعضهما، وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح في عدة مشاهد منها:

الانقسام الداخلي الحاد في اوساط القيادة الإسرائيلية والأمريكية، ففي الأولى تزايدت الانقسامات العميقة في القيادة الإسرائيلية الى الحد الذي يسعى فيه " نتنياهو " نحو تحقيق فكرة إجراء انتخابات مبكرة؛ وما إذا كان ذلك التكتيك الأفضل بالنسبة له، في محاولة لإبقاء قبضته على السلطة، خاصة مع تصاعد الضغوط في الداخل والخارج. [3]

ويتمثل الضغط الداخلي في مطالبة السياسيون المعارضون الذين انضموا الى حكومة الحرب منذ فترة طويلة، من أجل التوصل إلى اتفاق مع حماس لتأمين

عودة الأسرى الإسرائيليين المحتجزين في غزة، ومطالبة المشرعون من حزب الليكود من ناحية ثانية فضلا عن اليمينيين المتطرفين في الائتلاف الحاكم، من أجل استمرار العمليات العسكرية بأقصى سرعة، إلى أن يتم (القضاء على حماس)، كما أنهم يرفضون تماما المطالب الأمريكية والأوروبية بخطة "اليوم التالي" التي تتضمن مفاوضات حقيقية لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة.

وفي الوسط الآخر وهو الإدارة الأمريكية، فقد انتهى الحال ب- "بايدن" إلى الانهيار والصراخ بعد معرفته بأرقام استطلاعات الرأي الخاصة به في ميتشيغان وجورجيا قد انخفضت بسبب طريقة تعامله مع الحرب الإسرائيلية على غزة.[4]

بعد هذا فإنه يمكن القول إن الارادة القتالية والعقيدة القتالية لدى فصائل المقاومة الإسلامية التي استطاعت الصمود طيلة هذه الشهور،

ونجحت في اذلال جيش الدفاع الإسرائيلي وتحويل مجريات الحرب الى حرب استنزاف طويلة، ربما تتمكن من كسر هذه الحلقة التي تربط الدولتين بعضهما ببعض، رغم كل الاعتبارات التي قدمنا شيئا منها خاصة اذا تطور المشهد إلى حالة الحرب الإقليمية الشاملة والتي بدت ملامحها في التشكل الآن.

المصادر:

[1]_"لأجل عيون إسرائيل".. الولايات المتحدة تهدم النظام العالمي الذي بنته، موقع الجزيرة نت، 8 مارس /آذار 2024، (تاريخ الدخول: 21 مارس /آذار 2024):

https://tinyurl.com/mwx7ez99

[2]_وزير الدفاع الأمريكي: واشنطن "لن تسمح بسقوط أوكرانيا، موقع صحيفة القدس العربي، 19 مارس/آذار 2024، (تاريخ الدخول: 21 مارس /آذار 2024): https://tinyurl.com/3b8wk7t5

[3]_هل يسعى نتنياهو لإجراء انتخابات مبكرة؟.. تقرير يُجيب، موقع عربي 21، 19 مارس/آذار 2024، (تاريخ الدخول: 21 مارس /آذار 2024): https://tinyurl.com/bdd9ws76

[4]_بايدن ينهار ويصرخ في وجه النواب بالبيت الأبيض بسبب غزة، موقع

عربي20، 21مارس/آذار 2024، (تاريخ الدخول: 21 مارس /آذار 2024):

https://tinyurl.com/3pwwzkt6

طوفان الأقصى: حسابات الربح والخسارة

فشلت إدارة نتنياهو في تحقيق اهدافها الموضوعة بعد مرور ما يزيد على الخمسة شهور في الحرب على غزة، والمتمثلة في القضاء الكامل على حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي مثلت لها تحديا كبيرا وصداعا مزمنا، كما فشلت في تحرير واطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين المحتجزين في قطاع غزة، ورغم ذلك فإن إدارة نتنياهو تجد في نفسها طموحا أكبر لمواصلة الحرب وصولا لاجتياح بري وشيك ل-رفح حتى تتحقق تلك الأهداف، وتقضي على حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الأكثر صعوبة.

وإذا افترضنا جدلا أن سيارة بها مجموعة من الناس ويقودها سائق متهور ومغرور، وأن هذه السيارة وجدت نفسها في مكان شديد الانحدار واستعصى على السائق المتهور أن يتحكم بها جيدا رغم كفاءته وخبرته، وان يتفادى سقوطها المحتوم والوشيك في هذا المكان شديد الانحدار ؛ هنا يوجد إحتمالين: الأول أن يتمكن السائق المتهور من ايقاف السيارة بعد توجيهات من مجموعة الركاب الذين معه، والاحتمال الثاني أن تسقط السيارة من ذلك المنحدر الشاهق ويلقى الجميع حتفهم، لكن لأن السائق متهور ومن صفاته الغرور والعند، فالأرجح الا يلقي بالا لأي نصح أو ارشاد لإيقاف أو تبطئة سرعة السيارة، وهنا يصبح احتمال النجاة صفرا بالمائة.

يمكن اسقاط هذا المثال الافتراضي على المشهد العملياتي في إسرائيل وعلى إدارة نتياهو تحديدا،ونستطيع أن نمثل السائق المتهور المغرور ب-نتنياهو والسيارة هي جيش الدفاع وزمن انطلاق

السيارة هو السابع من اكتوبر/ تشرين الأول 2023 ، والمنحدر الشاهق هو قطاع غزة. فهل يكون هناك احتمال نجاة ل- نتنياهو وجيش الدفاع، أم يكون احتمال النجاة هو صفرا بالمائة؟ وما هي حسابات الربح والخسارة بعد مرور ما يزيد على الخمسة شهور على حرب طوفان الأقصى؟

في المشهد العملياتي، لم يحقق نتنياهو أيا من أهدافه التي قطعها على نفسه، والتي تتمثل في سحق المقاومة الإسلامية (حماس) فهو لم يثبت اركان جيشه تماماً لا في وسط القطاع ولا في شماله، بل أن الاشتباكات والاصابات المميتة طالت جيش الدفاع من جانب حماس من المسافة صفر، ولم يتمكن السائق المتهور العنيد أيضا من تحرير الأسرى والرهائن المحتجزين في القطاع، اكثر من ذلك فقد كشفت حرب الطوفان عورات القوة الإسرائيلية، بما يمكن بعدها (في تقديري وفي تقدير أي مراقب منصف) لأي قوات عربية أو إقليمية أن

تنازل الخصم الإسرائيلي وتلحق به خسائر فادحة.

ولأن نتنياهو لم يستطع تحقيق أيا من أهدافه المعلنة، بل على العكس من ذلك فقد عرض إسرائيل لضربات قاسية وموجعة من كتائب المقاومة الإسلامية (حماس) وافقدتها صوابها، ولن تزول من أذهانهم تماماً مثلما لم تفارق محرقة الهولوكوست أذهانهم، وإذا اضفنا إلى ذلك الشعور العالمي الموحد الآن بفظاعة اعمال الحرب الاجرامية التي يقوم بها جيش الاحتلال طيلة الخمسة اشهر المنصرمة، والتي ذاق فيها الفلسطينيين الأبرياء العزل القتل الجماعي والابادة والتجويع وكل جرائم الحرب الوحشية غير الإنسانية، لذا بمقدورنا القول أن إسرائيل وصلت إلى أقصى درجات العزلة الدولية، المتمثلة في رفض الضمير الإنساني لجرائم الحرب التي تقترفها ادارة نتنياهو المتطرفة،وهذه بدورها تحسب من أولى

الخسائر التى تلحق ب-إسرائيل وادارة نتنياهو المتطرفة.

وإذا أضفنا إلى ما تقدّم أن القضية الفلسطينية لم تكن حية وحاضرة على أجندة المجتمع الدولي كله مثلما هي عليه الآن، وأنه كلما أمعن "جيش" الاحتلال الإسرائيلي في قتل المدنيين العزل في غزة كلما انكشفت وحشيته، وكلما أيقن العالم كلّه أن المشروع الصهيوني لا يمكن إلا أن يكون مشروعاً استعمارياً واستيطانياً وتوسعياً وعنصرياً بطبيعته، لتبيّن لنا حجم الإحباط الذي يعاني منه نتنياهو حالياً، وهو ما يفسّر حالة الإنكار التي يعيشها والتي تدفعه إلى الإصرار العنيد على مواصلة القتال حتى النهاية.[1]

ورغم ان الادارتين الأمريكية والإسرائيلية تتفقان في خطة الحرب على غزة، بل ان الولايات المتحدة تقدم دعما عسكريا كاملا غير مسبوق لإسرائيل في هذه الحرب، إلا ان الحليف الأمريكي كثيرا

ما يفاجأء بتصرفات ومواقف منفردة يقوم بها الطرف الإسرائيلي دون الرجوع إليه، مثل الحرب البرية على رفح التي يزمع الطرف الإسرائيلي القيام بها، لذا فقد تصاعدت مؤخرا حدة التبرم والضجر الأمريكي من تلك الافعال والتصرفات المنفردة التي تقوم بها إسرائيل، ولم يقف " بايدن "على إظهار هذا التبرم فقط بالقول أن الطريقة التي تتبعها ادارة نتنياهو في الحرب في غزة تضر إسرائيل أكثر مما تنفعها، لكنه قام بتحذير نتنياهو من مغبة اقدام ادارته على اجتياح رفح، وهذا مؤشر له دلالة على تباين الادارتين في الاستراتيجية التي تقود المشهد العملياتي.

ولأن حجم الانقسام والاختلافات بين الادارتين الأمريكية والاسرائيلية قد بدا واضحا للعلن، فقد أدان الفاعليين الدوليين الابادة الجماعية البشعة التي ترتكبها آلة الحرب الإسرائيلية بحق الأبرياء الفلسطينيين، وادانت

محمكة العدل الدولية تلك الانتهاكات غير المسبوقة، لأن دولة جنوب إفريقيا رفعت قضية ضد إسرائيل امام محكمة العدل الدولية تتهمها بالابادة الجماعية للفلسطينيين، وقدمت في ذلك احاطة قانونية رفيعة المستوى، تؤكد فيها حجم الاجرام البربري والوحشي الذي قامت به إسرائيل فقد تبدت سوءاتها أمام العالم.

قبول المحكمة اتهام إسرائيل بالشروع في الإبادة الجماعية، ينزع عن إسرائيل صفة الضحية التي حصَّنتها من كل نقد أو مساءلة، وجعلت كل من يتجرأ على اعتبارها دولة عادية تخضع للمساءلة القانونية مثل بقية الدول معاديًا للسامية، يرتكب ما ارتكبه النظام النازي في حق اليهود، وتنبغي مساءلته ومعاقبته. لن تستطيع إسرائيل وأعوانها الاحتماء مستقبلًا بذلك؛ لأنها باتت حاليًّا متهمة بنفس الجريمة التي ارتكبها النازيون في حق اليهود. بدلًا من ذلك ستكون مشغولة بدفع تهمة الإبادة

عنها، وتبيين أنها ملتزمة بالقانون الدولي، وتكون تحت المتابعة شهريًّا؛ لأنها ملزمة بتقديم تقرير شهري لمحكمة العدل يسرد الإجراءات التي قامت بها لتنفيذ لقرار المحكمة.[2]

ولأن حجم الانقسام والاختلافات بين الادارتين الأمريكية والاسرائيلية في استراتيجية الحرب على غزة قد بدا واضحا للعلن، رغم صهيونية " بايدن " و"بلينكن " الكاملة، فقد جاء قرار مجلس الأمن رقم 2728 بوقف اطلاق النار نتيجة حتمية لذلك الانقسام، ولتصاعد حدة الرأي العالمي الذي يطالب بوقف اطلاق النار، ولم تتمكن الولايات المتحدة ربما لأول مرة في تاريخها، من إستخدام حق النقض الذي تنحاز به دائماً ل-إسرائيل.

السفير " ديفيد ماك "، مساعد وزير الخارجية الأميركي الأسبق لشؤون الشرق الأوسط، لخص ثلاثة عوامل تدفع لما عدّه

تغيرا تدريجيا في موقف " بايدن "، وذلك على النحو التالي:

أولا: نمو المشاعر المؤيدة للفلسطينيين بين تيارات داخل الحزب الديمقراطي والناخبين المستقلين خلال عام الانتخابات الرئاسية.

ثانيا: يسمع "بايدن" نداءات الدول الحليفة لأميركا، والتي ترى أن إسرائيل قد ذهبت بعيدا جدا، وأن واشنطن بحاجة إلى استخدام نفوذها لردها بقوة.

ثالثا: يستمع "بايدن" إلى مزيد من أصوات اليهود والإسرائيليين ممن يرون ضرورة اللجوء إلى التفاوض لوقف دوامة العنف، خاصة بعد تأكد حقيقة صعوبة القضاء على حركة حماس.[3]

وفي وقت اشرفت فيه الزعامة الأمريكية على الترنح وفقدان سطوتها ونفوذها العالمي مع كثرة النزاعات والحروب الكونية، وصعود الصين وروسيا بخطى ثابتة لتغيير معالم القطبية العالمية من نظام احادي القطبية الي

ثنائي أو متعدد القطبية، فقد وقعت الادارتين الأمريكية والاسرائيلية على السواء بعد طوفان الأقصى في مأزق لا تستطيع منه فكاكا، وخسائر لم تكن على البال.

وفي حسابات الربح والخسارة للصراع والحرب بين إسرائيل وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) فقد تورطت إسرائيل بأطول حرب من الناحية الزمنية، وكانت محصلتها خسائر بشرية في جيش الدفاع هي الأكثر عددا، وبكلفة مالية واقتصادية باهظة.

تشير تقديرات أولية إلى أن تكلفة الحرب تقدر بحوالى 51 مليار دولار. اقترضت إسرائيل حتى الآن أكثر من 8 مليارات دولار، مما أدى إلى تضخم العجز فى الميزانية إلى 6 مليارات دولار. ويتوقع البنك المركزى الإسرائيلى أن ينمو الاقتصاد بنسبة 2% فى 2024، وهذا أقل من توقعاته السابقة بنمو يصل إلى ٢,٨% فى العام المقبل. ويتوقع، أيضا،

ان تصل تكاليف الميزانية الخاصة للحرب إلى 10% من الناتج المحلى الإجمالى فى العام المقبل، بينما من المنتظر أن ترتفع نسبة الدين إلى الناتج المحلى الإجمالى إلى 66% فى نهاية 2024.[4]

بكل تأكيد ستكون إسرائيل من أكثر الخاسرين نظرًا للتكلفة الباهظة للحرب التي لم تحقق أهدافها وفشل إسرائيل في استعادة قوة الردع، فإسرائيل تحولت إلى قوة لا يخشاها ولا يحترمها أحد في الإقليم. مقابل هذا التراجع سيكون هناك صعود لإيران التي جنت مكاسب كبيرة من هذه الحرب أهمها أنها ثبَّتت نفوذها على حساب خصومها وبذلك ترسل برسالة واضحة مفادها أن العبث مع إيران سيكون مكلفًا بشكل لا يمكن تصوره.[5]

مع ذلك فإن إيران التي تصنفها الولايات المتحدة إحدى محاور الشر في العالم، باتت هي المستفيد الأول فيما اتصور من حروب طوفان الأقصى، لأنها صرفت الانظار الأمريكية عنها فيما يشبه

التجميد لمفاوضات المشروع النووي، وتفرغت إيران لاستكمال مشروعها النووي الذي تتخوف منه إسرائيل أكثر من غيرها، لذا كان من الطبيعي ان يقول آية الله "خامنئي" أن إيران لن تتدخل مباشرة في النزاع العربي الإسرائيلي نيابة عن حماس؛ حيث لم تتلق إيران تحذيرًا مسبقًا حول هجمات 7 أكتوبر/تشرين الأول إلا أنه أضاف: إننا نقبّل أيادي الذين خططوا للهجوم على الكيان الصهيوني.

المصادر:

[1]_حسن نافعة،مرحلة ما بعد نتنياهو، موقع صحيفة الميادين، 21مارس /آذار 2024،(تاريخ الدخول: 27 مارس /آذار 2024):https://tinyurl.com/bdhv6uws

[2]_الحواس تقية، إدانة إسرائيل: تفكيك خيوط الحكم، مركز الجزيرة للدراسات، 30يناير /كانون الثاني 2024،(تاريخ الدخول: 27 مارس /آذار 2024):https://studies.aljazeera.net/ar/article/5840

[3]_محمد المنشاوي، هكذا تمنع حسابات الربح والخسارة بايدن من رفض وقف إطلاق النار في غزة، موقع الجزيرة نت، 24يناير /كانون الثاني 2024،(تاريخ الدخول: 27 مارس /آذار 2024):

https://tinyurl.com/y8az6y6n

[4]_وفاء صندى، حرب غزة وحسابات الربح والخسارة، ، بوابة الأهرام، 21ديسمبر /كانون الأول 2023،(تاريخ الدخول: 27 مارس /آذار 2024):

https://tinyurl.com/bddtb4nz

[5]_حسن البراري،التداعيات الجيوسياسية للحرب على غزة، مركز الجزيرة للدراسات، 21فبراير /شباط 2024،(تاريخ الدخول: 27 مارس /آذار 2024):https://studies.aljazeera.net/ar/article/5855

مع الشيطان وجها لوجه: كيف تكون الحرب القادمة؟

كان توقف مباحثات ومفاوضات الملف النووي بين الولايات المتحدة وإيران، هو نتاجا طبيعيا في تقديري للمتغيرات السياسية المتعاقبة في الشرق الأوسط، والحروب الكونية التي تفجرت على جبهتين: الجبهة الروسية الأوكرانية من ناحية، والجبهة الإسرائيلية التي تحارب فيها إدارة نتنياهو المتطرفة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من ناحية ثانية، وما ترتب على ذلك من أعباء على الإدارة الأمريكية في مباشرة الحربين في آن واحد، وتغطية النقص الحاد في الأسلحة والذخائر، خاصة على

مستوى الجبهة الروسية الأوكرانية، وتقديم الدعم العسكري واللوجستي الكامل على مستوى الجبهة الإسرائيلية.

ورغم أن الغموض كان يخيم على هذه المباحاثات وما إنتهت إليه إلى أن وصلت مرحلة التوقف الكامل بسبب من الحروب المتفجرة، إلا أنه يمكن القول ان إيران قد حققت مكاسب سياسية كبيرة منذ ذلك الوقت، فقد ارتفعت شعبيتها في المنطقة إلى حد بعيد، وزاد ذلك أيضا من قوة الفاعلين المرتبطين بها.

ولأنه من الصعب التكهن بما تضمره الولايات المتحدة حيال قضية الانسحاب الأحادي من الاتفاقية النووية أو اتفاق خطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) التي تم التوقيع عليها في العام 2015 ، والتي تم بموجبها التزام إيران تجميد أنشطتها النووية، وعدم حيازتها مواد انشطارية لمدة 15 عاما والا تتجاوز نسبة تخصيب اليورانيوم عن 3.67%مقابل تخفيف العقوبات الاقتصادية

المفروضة عليها، إلا أنها وجهت تحذيرات صريحة ل-إيران بعدم دخول الحرب بين إسرائيل وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) بعد أن نفذت الأخيرة حربا هجومية غير مسبوقة، وغير متوقعة.

حذر رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة الجنرال " تشارلز براون " إيران من مغبة التورط في المواجهات الجارية بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإسرائيل، وقال إنه لا يريد أن تتسع رقعة الصراع، في وقت يسرع فيه الجيش الأميركي في إرسال إمدادات عسكرية جديدة لتل أبيب.[1]

ولأن الشواغل والحروب التي وقعت في أتونها الولايات المتحدة كانت كفيلة بما يشبه التجميد القسري لمفاوضات النووي، وانصراف الطرف الإسرائيلي عن محاولاته المستميتة لافشال المفاوضات، فقد كانت الادارة الإسرائيلية المتطرفة من أقوى الأطراف التي تتبنى وجهة النظر الداعية لخروج وانسحاب الولايات

المتحدة من الاتفاقية، بل أنها تهدد بضربات استراتيجية للعمق الإيراني، إلا إن ذلك كان عاملا مساعدا من ناحية ثانية ل-ايران، في إلتقاط انفاسها وترتيب اوراقها من جديد.

صحيح أن الخطاب الإيراني في مساندة غزة في طوفان الأقصى كان يلفه الغموض وعدم الوضوح، إلا أنها كانت تؤكد من ناحيةثانية رؤيتها واستراتيجيتها الايدلوجية المعروفة والمعارضة ل-إسرائيل والولايات المتحدة (الشيطان الأكبر)، والتي اختطتها ايران منذ الثورة الايرانية 1979، فقد كان " آية الله الخميني " ينظر إلى إسرائيل باعتبارها قوة غاشمة محتلة للسيادة الإسلامية.

أما موقف إيران من الكيان الصهيوني، فهو موقف العداء المطلق، وكذلك هو موقف الكيان الصهيوني من إيران: إنه العداء المطلق. ومن يظن أن ذلك العداء مجرد تمثيلية فهو يعيش

في الوهم، مؤثراً إنكار الحقائق لصالح الهواجس. ولا أدل على ذلك من أن إيران هي البلد الوحيد في المنطقة الذي بقي على دعمه للمقاومة في فلسطين، تمويلاً وتسليحاً وتدريباً، وهو موقف لم يتغير أو يتبدل منذ قيام الجمهورية الإسلامية في إيران بعد أن أطاحت الثورة بنظام الشاه، الذي كان يمد الكيان الصهيوني بالنفط، وتستخدمه الولايات المتحدة شرطياً لها في منطقة الخليج.[2]

أيد المسؤولون في إيران عملية طوفان الأقصى بوصفها إحدى بوادر تحقق توقعات المرشد الإيراني الذي أشار في أكثر من مرة إلى أن إسرائيل إلى زوال. عند مراجعة موقع الخامنئي الإلكتروني والذي يجمع فيه عادة خطاباته ولقاءاته، نجد أن الصفحة الأولى مخصصة لطوفان الأقصى؛ حيث أعيد نشر خطابه الذي أجراه قبل أيام مع مسؤولي النظام وبعض سفراء الدول الأجنبية وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية. عبَّر خامنئي بكل صراحة عن أن إسرائيل إلى زوال وأن الشباب

الفلسطيني والحركة الفلسطينية هي أكثر نشاطًا وتصميمًا على مقاومة الاحتلال واستبداده.[3]

وفي الواقع العملياتي المشاهد فقد تمكنت إيران عبر أذرعها والفاعلين المرتبطين بها في الشرق الأوسط، المتمثلة في حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن والمقاومة الإسلامية في العراق والقوى السورية ، تمكنت من مهاجمة الأهداف الأمريكية وإرباك الحلف الأمريكي الإسرائيلي، لكن من غير نسب تلك العمليات الهجومية صراحة لها.

بنت طهران خلال سنوات عديدة شبكة واسعة ومعقدة من الجماعات المسلحة غير الحكومية امتدت من اليمن إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين. كما عملت على منح هذه الجماعات استقلالية خاصة وشجعت كذلك على التعاون والتشاركية بين هذه المجموعات. هاتان الخاصيتان توفران لإيران منفعة مزدوجة تتمثل، أولًا، بمنع

نشوب حرب مباشرة مع القوى الإقليمية والدولية وتوفر كذلك إمكانية النأي بالنفس عن أعمال هذه المجموعات كلما اقتضت الضرورة ذلك.[4]

صرح الأمين العام لحزب الله "حسن نصر الله " فى خطابه الذي ألقاه بعد مقتل القيادى الحمساوى صالح العارورى فى بيروت"حتى الآن نقاتل في الجبهة بحسابات لذلك هناك تضحيات لكن إذا فكر العدو أن يشن حربًا على لبنان حينها سيكون قتالنا بلا حدود وضوابط وسقوف لسنا خائفين من الحرب ونحن مستعدون لها الحرب معنا ستكون مكلفة للغاية. فإذا شُنت الحرب على لبنان فإن مقتضى المصالح اللبنانية الوطنية أن نذهب بالحرب إلى الأخير من دون ضوابط". [5]

ولأن الولايات المتحدة كانت حليفا كامل الدسم للطرف الإسرائيلي، فقد كانت الإستراتيجية الإيرانية أيضا في صف الحلفاء المرتبطين ايدلوجيا بها، في الجنوب اللبناني وفور انطلاق طوفان

الأقصى قصفت قوات حزب الله مواقع للجيش الإسرائيلي بمزارع "شبعا المحتلة"،وكان ذلك رسالة مفادها أنهم جزء من اطراف الحرب في منازلة إسرائيل، وتتابعت العمليات واستهدفت القوات الإسرائيلية وأجهزة المراقبة والرصد والاستشعار الإسرائيلية على طول الحدود، وتجاوزت العمليات الهجومية في العراق وسوريا ما يزيد عن الستين هجوما بحسب التقديرات الأمريكية.

ومما زاد من ارباك الحلف الأمريكي الإسرائيلي، هو تصاعد هجمات الحوثيين جنوب البحر الأحمر على السفن المرتبطة ب-إسرائيل باستخدام طائرات مسيرة وصواريخ مضادة للسفن وهو ما دفع تلك السفن لتغيير وجهتها الى طريق جنوب إفريقيا مما زاد في التكلفة الباهظة، وتأخير البضائع بين أوروبا وآسيا وأثر مباشرة على التجارة العالمية، وتلا ذلك محاولات عدة في استهداف مدينة ايلات بصواريخ باليستية في 9 نوفمبر 2023، فضلاً عن احتجاز سفينة شحن إسرائيلية

في 19 من الشهر نفسه، وهذا بدوره ربما ساهم في تغيير النظرة للحوثيين من اعتبارها مليشيا إيرانية مارقة إلى جماعة فاعلة مؤثرة في تفسير ما جرى.

أدى انصار الله في اليمن، وهم حلفاء أساسيون لإيران، دوراً مهماً في المعركة عبر السيطرة على بعض السفن الإسرائيلية، ومنع بعض السفن المتوجهة إلى إسرائيل من الوصول إلى مرفأ إيلات، وهذا الدور عزّز موقع إيران الإقليمي، كونها الحليف الأهم لأنصار الله، لكن في المقابل، واجه الحوثيون تحديات جديدة، عبر الضربات العسكرية التي تعرض لها اليمن مؤخراً من جانب الأميركيين والبريطانيين، وهو ما سيكون له تأثير مهم في دورهم المستقبلي.[6]

مع هذا ليس مستبعدا ان تستمر مشاركة إيران بالوكالة في الحرب المفروضة على غزة في المدى المنظور، عبر الحلفاء والفاعلين المرتبطين،

ربما حتى لا تخوض مواجهة كاملة مع الطرفين الإسرائيلي والامريكي، وتفقد كل ما اكتسبته بالهيمنة والتمدد في المنطقة طيلة السنوات المنصرمة، وما استطاعت تحقيقه من مكاسب سياسية مع الطرف الأمريكي في ملف مفاوضات الاتفاق النووي ، لذا كان من الطبيعي ان يقتصر دور إيران في ظل المعطيات السياسية الراهنة على الحرب بالوكالة.

ورغم أن إيران حرصت على تأكيد عدم ضلوعها فعليا أو التخطيط ل-عملية طوفان الأقصى وهذا ما حدث بالفعل، إذ أن قرار الحرب كان قرار مستقلا نابعا من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلا أنها حرصت أيضا إبداء ارتياحها للقرار، وهذا من ناحية ثانية يوفر غطاء كبيرا ل-إيران في متابعة ومساندة تطورات الحرب .

ولأن إيران وحزب الله لم يكونا على عِلم بتفصيلات العملية وأهدافها إلاّ قبل تنفيذها بوقت قليل (نحو نصف ساعة قبل

انطلاقتها)، بحسب بعض قيادات "حماس" وحزب الله، فإنهما حرصا على إعلان الدعم لقوى المقاومة، وخصوصاً حركة "حماس" في مواجهة الرد الإسرائيلي، لكنهما بلّغا قيادات الحركة بعدم إمكان الانخراط في الحرب الشاملة، لأن ذلك يحتاج إلى تحضير مسبق، ولذلك، فقد انخرطت إيران في العمل على تقديم كل أشكال الدعم إلى حركة "حماس" وقوى المقاومة، والمساهمة في زيادة التعاون والتنسيق بين هذه القوى على صعيد المستويات السياسية والإعلامية والدبلوماسية كافة، وقد تولى وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان ذلك بصورة مباشرة عبر زيارات متكررة إلى بيروت وقطر، وعقْد لقاءات مع قيادات قوى المقاومة، بالإضافة إلى التنسيق والتعاون مع مختلف الدول العربية والإسلامية لتقديم الدعم إلى الشعب الفلسطيني، وعقْد مؤتمر الدول العربية والإسلامية في السعودية.[7]

في ظل هذه المعطيات والسردية الإيرانية التي تتروح بين طرفي متصل ، الأول هو دعمها الكامل للقضية الفلسطينية ومناصبتها العداء للشيطان الأكبر، لكنها لا تلقي بكاملها في مواجهة مكشوفة مع الشيطان، حفاظا على صورتها القوية في المنطقة، وفي الوقت نفسه لا تود أن تخسر كل المكاسب السياسية التي قطعت فيها الدبلوماسية الإيرانية شوطا بعيدا، إلا أنه ليس مستبعدا تنحية كل هذه السرديات والمعطيات، ودخول اللاعب الإيراني في حرب إقليمية شاملة مفتوحة وفقا للمتغيرات السياسية الراهنة والقادمة. ربما.

المصادر:

[1]_أميركا تحذر إيران وتسرع إمدادات الدفاعات الجوية والذخيرة إلى إسرائيل، موقع الجزيرة نت، 10 اكتوبر/تشرين الأول 2023،(تاريخ الدخول: 2 ابريل /نيسان 2024): https://tinyurl.com/mrv6ebww

[2]_عزام التميمي، الحرب على غزة وإيران ونظرية المؤامرة، موقع عربي 21، 29 يناير/كانون الثاني 2024،(تاريخ الدخول: 2 ابريل /نيسان 2024): https://tinyurl.com/bdh8396b

[3]_محمود البازي، طوفان الأقصى: كيف نفهم العلاقة بين حماس وإيران، مركز الجزيرة للدراسات، 16 أكتوبر/تشرين الأول 2023،(تاريخ الدخول: 2 ابريل /نيسان 2024): https://studies.aljazeera.net/ar/article/5765

[4]_المصدر السابق

[5]_حنان أبوسكين، أبعاد التصعيد الحذر فى الموقف الإيرانى من الحرب على غزة، المركز الديمقراطي العربي،27 مارس/آذار 2024،(تاريخ الدخول: 2 ابريل /نيسان 2024):

https://democraticac.de/?p=95803

[6]قاسم قصير، إيران والحرب على غزة: القيادة من الوراء، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2024،(تاريخ الدخول: 2 ابريل /نيسان 2024): https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655062

[7]_المصدر السابق

المحتويات